روايات عبير الجديدة

هدية للقلب

جودي تونوز

بري فتاة ضائعة وسط العبيد تحاول الفرار بكل قوة.

«توقفي يا فتاة عن الحركة يجب ان نبيعك لهذا السيد».

«ماذا... انا لن اسمح لكم...» بهذه الكلمات كانت بري تدافع عن نفسها عندما كان يتم بيعها في سوق للعبيد في جزر جامايكا.

ولكن اللورد كرسبن اونيل استطاع ان يشتريها كهدية لخطيبته الثرية الآنسة باميلا، وذهب بها الى القصر.

بري الجميلة المثيرة كانت موضع محاولات من جميع الرجال كيف يحمي اللورد جاريته الجميلة... البريئة... هل يقع في حبها؟.

www.rewity.com
مكتبة وديع دمشقي

هدية للقلب
جودي تونوز
عدد ممتاز

روايات عبير الجديدة

جودي تونوز

هَدية لِلقلب

عدد ممتاز

- ١ -

www.rewity.com

برى فتاة ضائعة وسط العبيد تحاول الفرار بكل قوة

«توقفي يا فتاة عن الحركة يجب ان نبيعك لهذا السيد».

«ماذا... انا لن اسمح لكم...» بهذه الكلمات كانت بري تدافع عن نفسها عندما كان يتم بيعها في سوق للعبيد في جزر جامايكا.

وردة دمشق

ولكن اللورد كرسبن اونيل استطاع ان يشتريها كهدية لخطيبته الثرية الآنسة باميلا، وذهب بها الى القصر.

٨٨ منتديات وردة ٨٨

بري الجميلة الشريفة كانت موضع محاولات من جميع الرجال كيف يحمي اللورد جاريته الجميلة... البريئة.. هل يقع في حبها؟.

في اواسط القرن الثامن عشر وحيث كانت الحياة الاجتماعية في افريقيا لا تزال تحت تأثير الاستبداد

والسيطرة والعنف والاستعمار الانكليزي.

اما على جزر جامايكا لم يكن الوضع بأحسن حال منه في اي جزيرة اخرى من جزر العالم.

مسحت بري الطفلة البريئة دموعها وهي تجلس الى جانب مجموعة من النساء المقيدات بسلاسل من الحديد.

بعضهن كن من العاهرات والاخريات من العبيد سقن الى مدينة لفربول ليتم بيعهن لاحقاً لمن يحتاج لهن.

عاد اللورد كرسبن اونيل من جزر جامايكا على ظهر سفينة الى مدينة لفربول وهو واثق بأنه سيفوز بخطوبة الآنسة باميلا الجميلة الثرية.

عندما نزل من سفينته وهو يستعد للعودة الى قصره تذكر انه لم يشتر هدية خاصة وثمينة للآنسة باميلا الجميلة التي لم يتذكرها طوال رحلته ولكن... الآن يجب ان يهيىء لها اي هدية ثمينة تليق بها.

لم يكن هناك من يستقبل هذا الأمير الجميل.. لأن باخرته وصلت قبل موعدها بأسبوع..

وبينما كان يترجل من السفينة وهو يحمل حقيبته وينظر الى حوضها الكبير ليتأكد من ان عملية انزال الحقائب الخاصة به تتم بشكل سريع وجيد.

وقف مستعرضاً بذهنه الهدايا في الصناديق في حوض السفينة، الاقمشة الحريرية؟ كلا انها لا تناسب باميلا التي تملك من الاقمشة والملابس اكثر من اي سيدة اخرى. وماذا عن طاقم الخزف الصيني الاصلي الرقيق لدرجة ان

خيال اليد يبدو واضحاً بتأثير ضوء الشمس المباشر؟ ولكن هذه الهدية مخصصة لوالدته السيدة اونيل ولن يحرمها من هدية تتمناها.

فكر بباقي الهدايا التي انتقاها بدقة مثل التماثيل الخشبية والتماثيل العاجية والسلع الجلدية والصدف والاسفنج. اخيراً تنهد وفتح عينيه وقد اقتنع بعدم وجود فائض بالهدايا التي جلبها معه. لذا قرر ان يزور شارع ديل في لفربول وهو المركز التجاري الرئيسي ليشتري هدية مناسبة... تذكر جمال باميلا وبياضها الناصع وابتسامتها وعينيها الزرقاوين الكبيرتين وانب نفسه، فكيف نسي الآنسة باميلا كورتني؟ على كل حال يجب ان لا تعلم هي بذلك فسوف يقدم لها هدية تثبت ان معزتها عنده كبيرة جداً تفوق الخيال.

قطعت افكاره وجذبت انتباهه حركة غريبة على ظهر السفينة وسرعان ما ادرك ان ذلك الهرج بسبب البدء بانزال العبيد لبيعهم بالمزاد العلني. فأخذ البحارة ينزلون الجسر وكل منهم يقتاد عبداً واحداً، ثم لاحظ ان العبيد من نساء الزنوج فقط وقد ربط معصم كل منهن بحبل متين وطرفه الآخر بيد البحار وانهن حفاة لا يرتدين سوى قميص قطني خفيف.

كن ست نساء صادف ان مررن امامه تماماً ولاحظ انهن جميلات عموماً ومعظمهن اطول من الاعتيادي وكانت الوانهن تتراوح بين الاسود المائل للزرقة والاسمر الحليبي

ووجوههن تدل على الذكاء خلافاً لنظرة الرعب التي كان يراها في وجوه العبيد في الموانىء الاخرى حيث يبعوا ليصبحوا عمالاً في المزارع هناك. ثم جاءت الاخيرة.

لسبب ما تأخرت عن الاخريات وهي لا تسير بخضوع بل تشد الحبل وتقاوم بعنف رغم صغر حجمها. وعجب للون جلدها الاسمر الذهبي وطبيعة بشرتها الصافية وشعرها السرح الطويل ثم نظر الى وجهها فاذا هو وجه ناعم بتقاطيع واضحة وانف مستقيم صغير وفم شهي وعينين سوداوين واسعتين، صدفة تلاقت نظرتهما وارتسمت اثناءها ابتسامة تحد صغيرة جعلتها تبدو اكثر ضعفاً من قبل، ثم سحبها البحار ولم ير سوى موجات الشعر الغامق التي تدلت الى ركبتها وهي تسحب بقسوة، واخيراً دفعت داخل مبنى الجمرك.

تبعها اللورد اونيل الى باب المبنى واقنع نفسه بمشاهدة مزاد بيع العبيد لأول مرة في حياته ولكن فكره كان مركزاً على المخلوقة الصغيرة الواقفة على المسرح وقد سمرت عيونها على الحشد امامها وسرعان ما سحبها دلال المزاد باسلوب مهين واخذ يستعرضها امام الناس ويشير الى محاسنها ومميزاتها تماماً كما يجري عند بيع الخيل بحيث اثار اشمئزاز اللورد اونيل رغم طبعه الهادىء.

قال الدلال «وجميلة!» بنبرة تحمل معان واضحة واستمر «متعة في اي دار او مكتب... هيا يا سادة... كم تدفعون؟».

تمتم رجل ضخم البنية وقال «متعة نادرة وانا اشتهيها» ثم نادى بصوت مرتفع بسعره وسرعان ما تصاعدت الصيحات وتزايد السعر. فنظر الى الطفلة خمن عمرها حوالي ١٤ سنة وهي تتابع الاصوات بخوف ظاهر وعصبية رهيبة جف لها فمها. اخيراً انحصرت المزايدة بين الرجل الضخم وعجوز قاسية الملامح. تفوهت بكلمات اثارت غضب اللورد، لم يحتمل المزيد من تصرفات هذه الحثالة فدفع المتنافسين جانباً بعنف شديد وتقدم الى المنبر وصعد سلالم الدرج بسرعة وهو يصيح «انها مباعة، عليكم اللعنة» ونظر الى الدلال بأعين ملؤها الغضب وكرر جملته ثم حدد سعراً يفوق خيال كافة الحضور.

وفي غمرة تلك الاحداث القى بالمبلغ الضخم واخذ بيد الفتاة وهو يرمقها بنظرة عابرة فاذا عيناها تتطلعان اليه بإكبار، ثم نظر خلفه فاذا بالدلال يقود الجارية الثانية فاندفع يشق طريقه بين الحشد وقد سمع من يقول لماذا اشتراها؟ واين سيضعها؟ وآخر يقول يا له من سعر عال هل يملك ملهى ام مشرب؟.

لم توجه هذه الاسئلة اليه مباشرة ولكنه سمع نفسه وهو يجيب «هدية باميلا، فهي مثال الهدية الغريبة، هي هدية باميلا!».

تطلعت الفتاة الى وجه الرجل الوسيم الطويل الذي انقدت عيناه ببريق خاطف حين التقت نظراتهما من قبل وشعرت بمشاعر السعادة تنبت في نفسها فقد اشتراها هذا

الرجل الانكليزي الاشقر ذو العينين الزرقاوين والبشرة الصافية المسمرة بشموس افريقيا وجامايكا ولم تخادع نفسها فهي لا تشك بانه سيتخذها خادمة او خليلة، فالجواري لا تباع الا لذلك، وهي تدرك بانها صغيرة الحجم وضعيفة البنية مقارنة بباقي النساء في دار الجمارك.

في هذه اللحظات الخاطفة غمرتها رعشة لذيذة لإدراكها بانها ستصبح عشيقته واسترجعت كافة مخاوفها طيلة الرحلة التعيسة من افريقيا الى جامايكا واخيراً هنا فكانت تخشى ان يعتدي عليها بحار منحط كما حصل لغيرها.

اما الآن وهي تسارع لمواكبة خطى منقذها فلم تستطع ان تخفي بريق الحب الجارف الذي لمع في عينيها كلما نظرت اليه فقد انقذها من ذلك الرجل البدين السمج وتلك المرأة القاسية.

بلغ الشارع العام واقترب من الساحة قبل ان يقف فجأة وينظر اليها بتمعن وبتفكير عميق وقال «يا الهي، لا اقدر ان ادخل القصر براونلو وانت بهذه الثياب. اسمعي هل تتكلمين الانكليزية؟ وما اسمك؟».

«اتكلم الانكليزية... نعم... واسمي راشيل بلانش نيكوليت بري كاند».

رمشت عيناه وقطب حاجبيه وقال «راشيل بلانش؟ هل انت فرنسية؟ اذن لماذا تباعين كجارية؟» وحدق باستغراب وقال «لهجتك فرنسية حقاً».

«ابي كان فرنسياً» اجابت ببطء حيث لم تتكلم اللغة

الانكليزية منذ سنوات حتى اجبرت على ذلك خلال هذه السفرة، واستطردت «امي كانت انكليزية وكانت الانكليزية لغتنا الثانية في البيت... قصتي قصة طويلة».

ابتسم وقال «اكيد. ويبدو من الخطأ ان تكوني جاريتي. رغم ذلك فقد اشتريتك بشكل شرعي كامل».

مدت يديها وشدت احدى يديه قائلة «تماماً يا سيد، فانا جاريتك انت!».

كان والدي يملكان مزرعة كبيرة في الساحل الشرقي من افريقيا وبعد موتهما منذ كنت طفلة سرقني اثنان من العبيد السود وجعلاني رهينتهما وربياني عدة سنوات» هنا صكت اسنانها وضغطت على يده وقالت «كان تاجر... من البرتغال... اراد ان يتزوجني ولم اوافق فهربت منهم ووقعت بقبضة بعض الاشرار الذين باعوني لتجار العبيد رغم اني اخبرتهم بأني نصف انكليزية ونصف فرنسية ولكنهم قالوا هذا سوء حظي وسأبقى عبدة مملوكة الى ان يعتقني اقاربي بالمال!».

فاجاب «فهمت. ولا تعرفين اياً من اقاربك الاحياء».

فاجابت بلهجتها الفرنسية وبنبرة الاطفال «كلا. لكني الآن اعرفك انت وانك ستعتني بي اليس كذلك؟».

بلع اللورد اونيل ريقه وقال «في الواقع اشتريتك لغرض... على كل حال سيكون هناك من يعتني بك. اعدك بذلك».

تابع سيره حتى موقف العربات والافكار تتضارب في

رأسه وامر احد السواق ان يأخذه الى دار مجاورة للقصر وامر جاريته بالصعود الى العربة ولكنها ترددت خوفاً من ان يتركها وحدها فرق قلبه لثقتها به واحتمائها به وشعر بالذنب خاصة وانه اشتراها كهدية لشخص آخر فكرر امره بالصعود ولما لم تتحرك ضمها بذراعيه والقاها داخل العربة ثم صعد الى الكرسي المقابل وهو يلهث.

فقالت: «كنت سأدخل بنفسي ولكنني كنت خائفة قليلاً» ثم ابتسمت وقالت «يبدو اني ثقيلة عليك فقد جعلتك تلهث».

لم يكن هو نفسه مستعداً للمشاعر التي اجتاحت بدنه عندما حمل جاريته شبه عارية فتنحنح وغير الموضوع وقال «يجب ان لا تخافي فسوف اتركك قريباً ولن اغيب سوى فترة قليلة فإن عائلتي لا تتوقع وصولي الآن وبكل تأكيد لا يتوقعون ان اجلب... جارية معي الى البيت! فيجب ان ترتدي ملابس لائقة قبل ان ادخلك للقصر. عندي فكرة. هل تعرفين معنى مربية؟».

«طبعاً كان عندي مربية قبل موت امي وابي... كانت عبدة سوداء اسمها ماما لوجيا اخذتني معها الى قبيلتها بعد ان قتلت الحمى والدي».

«فهمت. لكن مربيتي ليست عبدة سوداء الا انها سيدة عجوز متقاعدة تسكن داراً قرب القصر سوف تعتني بك وتعطيك ملابس لائقة وتعلمك كيف تحسنين التصرف».

تجعد الوجه الصغير فوراً وقالت «انا اعرف حسن التصرف وانا بنت جيدة سأكون لك وسأعتني بك...»

قاطعها قائلاً.

«لا... لا... اسمعت فهمي، فنحن لا نعمل ذلك»، وتعثرت كلماته لأنه تذكر المبغى قرب الميناء و«المؤسسات» الراقية في لندن وتصرفات المزارعين الفظة في جامايكا. هزت هي رأسها بعنف وقالت «بلى هذا ما يعملون! وانا لا امانع لدي... صدقني سأكون جيدة جداً سأكون مطيعة ومخلصة ومحبة و...».

فقاطعها مرة ثانية وقال «اذا استمريت على هذا اللون من الكلام فسأبيعك الآن الى... فمثل هذا الكلام يزعج امي كثيراً. فاذا اردت ان تكوني فتاة جيدة فعليك ان تعملي بجد وان تنجزي الاعمال التي تكلفين بها وتطيعي السيدات. مفهوم راشل بلانش الى آخر اسمك؟».

ابتسمت ابتسامة جميلة «نعم مفهوم. واسمي راشيل بلانش نيكوليت بري كاند... يمكنك ان تنادني مجرد بري كما كانت تسميني ماما لوجيا» وداعبت خصلة من شعرها وقالت «ادركت الآن بانك لم تشتريني لأصبح امرأتك! ولكن ذلك الرجل الآخر قال...» فقاطعها قائلاً «سمعت ما قال... وقد اشتريتك لأخلصك من الانحطاط... برأي ثمة رجال يتصرفون بشهامة ولسنا جميعاً...».

«عفواً يعني ماذا بشهامة؟ وكلمة اح... انح... انحطاط؟».

تنهد اللورد اوتيل ومرر اصابعه في شعره ونظر باصرار

توجه بري وقال «بري، ساقول لك الصدق. الرجل الذي تريد استشارتك كان فعلاً يريدك ان تكوني له، اما المرأة المحجوز في تسعى لبيع خدمات جسدك للبحارة... لذا استشرتك لأنقذك من...» توقف عن الكلام بتأثير الفزع الذي ارتسم على وجهها كأنها رأت مشهداً مرعباً، فقال «بري! ما بك؟» واخذ بيدها وشعر بنبضها السريع في رسغها فقالت كمن يحلم «صعد البحارة على السفينة واستلقوا على بعض النساء رغم ممانعتهن وبكائهن وصراخهن ثم طفح كثير من الدم وماتت احدى النساء وانتحرت الاخرى... انا لا اقدر... سأقتل نفسي لو جربوا معي... سأنتحر...».

جلس بقربها بسرعة ممسكاً كتفيها العاريين ثم ضمها اليه ورتب شعرها الاسود برقة حتى عاد اللون الى وجهها الشاحب وحتى توقفت شفتاها عن الارتجاف.

فهدأت في احضانه شيئاً فشيئاً ونظرت الى عينيه نظرة توسل وخوف مثل حيوان اليف مذعور. ثم قالت ببطء وتلكوء «عرفت بانك ستكون رحيماً... ورقيقاً... الرجال... لا ادري... كل الرجال... لم اكن اعلم...» فقال بحنان «لا بأس، انت تعرفين الآن، لن يلحق بك اي اذى، فانسي تلك السفينة التعسة وكل ما جرى عليها... انت الآن في حمايتي».

ارتاح بعد فترة اذ لاحظ عودة لونها الطبيعي وبريق عينيها فقالت بهدوء «نعم، ساكون آمنة معك. وساصبح خادمتك

المطيعة... اعدك بذلك».

ربت كتفيها وعاد الى مكانه وقال «انك ماهرة جداً بالاعمال وبما اني لا اريد عشيقة...» قاطعته وقالت «الست متزوجاً؟».

«كلا... ليس بعد على اية حال... فهل هذا يغير شيئاً؟» امالت برأسها الى الخلف واخذت تدرس المشكلة بنظرات شقية بعد ان تركت مخاوفها وقالت «اخدم زوجتك بكل اخلاص وكذلك اولادك ولكني سعيدة بأنك لم تتزوج بعد».

سحب نفسه وهم بأن يخبرها بأنه ينوي ان يتزوج قريباً ولكنه ترك الكلام وفضل عدم اقلاقها بدون مبرر وتذكر بأنه لم يتقدم لخطبة الآنسة باميلا كورتني السنة الماضية لانه يعرف بأنه سيزور مزارعه في افريقيا بحيث يضطر لتركها وحيدة عدة اشهر وليس من العدل ان يترك خطيبته وحدها لمدة طويلة اما الآن فلا يوجد اي عائق امام الخطبة فالزواج.

اتكأ على ظهر المقعد واخذ ينظر الى عيني بري الواسعتين وفكر ببامبلا فهي جميلة جداً بلا شك واذا قبلته زوجاً سيحسده مجتمع لفربول بكامله وتصفق لندن ايضاً حيث انها بالاضافة لجمالها الأخاذ لها دوقية كبيرة وبالرغم من عدم حاجته للمال فبإمكانه الاستفادة منه وهي بالذات زوجة مكلفة بنفس الوقت والجميع يقلدون ازياءها ويتطلعون لحفلاتها وستكون مفخرة له.

سمع اللكنة الفرنسية تسأل «لماذا يسير العربة ببطء؟» فصحح السؤال واجاب «لماذا تسير العربة ببطء؟ قاربنا الدار لذا امرت السائق للوقوف بضع دقائق لكي ادخل وافسر الموقف الى مربيتي بيرشي».

- ٢ -

تطلعت من النافذة ورأت بيتاً صغيراً انيقاً مشاداً من الحجر الاحمر، اما السقف فمصنوع من القصب ونوافذه واطئة فأخذت تفكر بما ستظنه بيرشي بها ولم يطل انتظارها فعاد وفتح باب العربة وقال «هيا انزلي بسرعة» فقفزت فامسك بيدها بقوة واقتادها من الباب الامامي حتى غرفة مظلمة مكتظة ودافئة جداً وبها امرأة ذات عينين براقتين ترتدي قبعة بيضاء وفستاناً غامقاً وتجلس قرب الموقد.

نهضت العجوز واقتربت منهما وسألت بتهكم «اقلت عبدة؟ لا انكر انها عارية تقريباً وشعرها بطول شعر الكفار ولكنها ليست سوداء تماماً».

كانت نبرات صوتها ادانة واضحة جعلت بري تزداد

التصاقاً باللورد مما وطد شكوك المربية.

فقال اللورد «بيرشي، الا تعرفين لحد الآن؟ هل آتيك انا بعشيقتي هنا؟ على كل حال فهذه مجرد طفلة، لا يا بيرشي هي تماماً كما قلت لك».

حملقت العجوز بالوجه الصغير المضطرب وقالت «هم!... قطعة جميلة ويمكن تدريبها بشكل لائق، ولكن عليك ان تكسيها ملابس مناسبة وان تتركها هنا بضعة ايام ولا تتوقع من سيدات القصر ان يقبلنها بصفة وصيفة بشكلها الحالي فهي لا تعرف ابسط متطلبات خدمة السيدات». ابتسم اللورد كرسبن فتشجعت العجوز وقالت «نعم يا بني، قد تبتسم ولكني اعتقد بانك اشتريت الفتاة دون ان تفكر نهائياً، حتى انك دفعت الثمن قبل ان يخطر ببالك خاطر الهدية اساساً!».

كان تحليلاً دقيقاً جعله يشعر بالحرج تماماً كما كان يشعر بالذنب امام هذه السيدة كلما كشفت احد الاعيبه اثناء طفولته واخذ يعدل هندامه ويدق بعصبية على منضدة الطعام كي يخفي هذه المشاعر وقال اخيراً «حسناً يا بيرشي قلت ما عندك وانا سأرسل لك مارثا ومعها بعض الملابس» واستدار الى بري واخذ احدى يديها وقال بلهجة جادة «يجب ان تبقي هنا الآن مع السيدة بيرشور وسوف ارسل لك بعض الملابس الجميلة مع احدى الخادمات وسآتيك عندما تعتقد السيدة بانك جاهزة للعمل في خدمة سيدات القصر اذ سآخذك اليه».

دارت بري بنظراتها المتشككة بين وجهيهما واخيراً تمتمت بنبرة حزينة وقالت «كما تشاء سيدي، هل ستعود لتراني في ملابسي الجديدة؟» فوعدها بذلك وربت كتفها للمرة الاخيرة وغادر البيت الصغير حيث سمعته المرأتان وهو يصعد العربة ثم سمعتا باب العربة وهو ينغلق واخيراً ابتعد الصوت. وللوهلة الاولى كادت بري ان تلحق به اذ تحركت فعلاً تجاه الباب لكن السيدة بيرشور اندفعت بوجه غاضب لتوقفها فاسدلت بري يديها من تلقاء نفسها واستسلمت للواقع. ثم استدارت الى المربية واجبرت نفسها على افتعال ابتسامة. وسألت بشغف «سيعود؟ فهو لن... لن يتركني؟» تقدمت العجوز ربتت كتف الطفلة وطمأنتها قائلة «لن يتركك. والآن تعالي ادلك على فراشك وغرفتك كما سأعطيك وشاحاً تتدثرين به حتى تصل مارثا ومعها الملابس. هل انت جائعة؟» وضحكت لما رأت الاجابة الخائفة وقالت «هذا ما ظننت فهل تريدين خبزاً وزبداً ومربى البرتقال؟».

فاجابت بلكنتها الفرنسية «لست ادري معنى مربى... مربى البرتقال، ولكن... نعم اريدها».

استلطفت العجوز هذه الحركات الصبيانية واستمرت بالضحك وتوجهت الى المطبخ الصغير وهي تقول «انا ساقطع الخبز الى شرائح وعليك انت ان تضعي عليها الزبد». فانتبهت الى ذراع الفتاة الذهبي اللون والى قشعريرة جلدها بسبب البرد فهزت رأسها اسفاً وقالت «لم

تتغير طباعه ابداً، كيف تركك شبه عارية، انتظري دقيقة».

تركت الغرفة وعادت ومعها وشاح سميك وضعته على كتفي ضيفتها وهي تقول «سيدفئك الى حين تصل ملابسك». وعادت مرة اخرى وهي تحمل طبق الخبز ومعه الزبد ومربى البرتقال، ووضعت الشاي على نار الموقد. ثم اقتربتا بجلسة مريحة قرب النار وهما تشربان الشاي وتأكلان، درست العجوز تقاطيع وجه الطفلة وهي تتكمش من طعم الشاي مقابل الفرحة والسعادة بطعم المربى لدرجة انها قالت «آه لذيذ... رائع».

تدريجياً زالت مخاوف بري واخذت تتكلم وتقص تاريخها بسعادة فاخبرت السيدة بيرشور كل ما تعرفه عن افريقيا والقرية التي نشأت بها كما روت عليها قصة اسرها وبيعها والمسيرة الطويلة التعسة ضمن رتل العبيد المكبلين خلال الغابات النائية البعيدة عن البشر لإبعاد كافة احتمالات النجدة ولكن آخر المطاف ورغم استفسار السيدة بيرشور لم تقس بري قصة الرحلة البحرية تنفيذاً لاوامر اللورد بأن تنسى الرحلة وكل تفاصيلها.

بهذه الفترة قضت بري وبدون خجل على آخر شريحة من الخبز والمربى. وعندما سمعتا صوت عربة تقترب نهضت بخفة وركضت الى الشباك الواطي وقالت «بيرشي، انها عربة مثل التي جلبتني.. ولكنها كبيرة، كبيرة جداً وهناك رسوم ملونة على ابوابها... آه لم تقف».

فقالت السيدة بيرشور «ذلك الرسم هو رمز عائلة اللورد

اونيل وكانت السيدة والدته خارجة بزيارة وهي الآن تعود مبكرة كي تتهيأ للعشاء». فقالت بري بشيء من خيبة الأمل «لم ار بها احداً». وعادت الى مقعدها واكملت «ولكني رأيت السيدات في ذلك المكان... ما اسمه... حيث تقف السفن؟».

فاجابت بيرشور «على المرفأ يا طفلتي! واشك بانهن سيدات». فتحت بري عينيها وقالت بلهفة «لا... اكيد سيدات!... سيدات انيقات جداً... يرتدين فساتين هكذا!» وهنا مدت ذراعيها الى ابعد الحدود واكملت «ولا يمكن رؤية سيقانهن... ولكن صدورهن بيضاء سمينة» هنا ضحكت ضحكة اطفال واشارت الى صدرها الصغير عابسة وقالت «كانت صدورهن تتراقص خارج الملابس... غريب انها لم تبد طبيعية».

«اعرف ما تقصدين ولكن الملابس التي سترينها في القصر لن تشبه تلك الملابس ولا حتى ما ستلبسينه انت. والآن اجلسي بهدوء ريثما اتناول كوباً من الشاي بانتظار مارثا. وسيكون عندك شغل كثير بعدما تصل».

«لن البسها... لن البسها... انها تقطع انفاسي فكيف اسير؟ سانزع هذا الشيء اللعين والبس جلبابتي الخفيفة لا يا شريرة يا مارثا، لا تشديني بهذا الشيء!».

كانت بري ترتعد من الغضب بسبب الفستان الزاهي الالوان وما تحته من طبقات متعاقبة من التول الخشن وما تحت ذلك من جوارب صوف طويلة وقد شد خصرها مشد

قوي وحصر اصابع قدمها حذاء ضيق وهي تعالج سدى لتنزع المشد في حين كانت مارثا تضحك من المنظر وتحاول ربط اشرطة الصدرية في الظهر.

اخيراً نهرتها بيرشور وقالت «اركدي يا آنسة! فكيف تتوقعين ان تخدمي اللورد كرسبن في القصر بدون ملابس لائقة؟» وقعت هذه الكلمات وقع السحر فهدأت الطفلة وانتهت الثورة والمقاومة وثبتت عينيها الكبيرتين على وجه العجوز.

«هل هذا صحيح؟ هل يرغب اللورد ان يراني بهذه الملابس الفظيعة؟» وبرزت اللهجة الفرنسية حين قالت «اذن... سأبقيها لفترة».

فقالت العجوز «اكيد... والآن استديري ببطء لارى ان كان يناسبك».

فقالت مارثا «عليها ان تلبس القبعة» وجفلت عندما رأت وجه بري الذي استدار نحوها فجأة بنظرة شرسة ولكنها تمالكت نفسها وقالت «حقيقة بري يجب ان تلبسي قبعة» فاجابت بري.

«لن البس اية قبعة فشعري طويل جداً وغزير جداً ولن يدخل داخل اية قبعة حمقاء».

فانجدتها السيدة بيرشور وقالت «بما انها ستكون وصيفة احدى السيدات فلن تحتاج الى قبعة» واستدارت الى مارثا وقالت «انظري الى اناقتك وانت ترتدين ملابس سلينا

القديمة».

كانت مارثا فتاة قروية وقد عرفت الآنسة بيرشور منذ طفولتها فكانت تتقبل تأنيبها اللاذع الصادق، فاجابت بانكسار «جرت العادة ان تلبس خادمات السيدات ملابس انيقة ولا ترغب الآنسة سلينا ان ارتدي ملابس خادمات المطبخ ولكنك على حق فسوف يعطون بري ملابس من هذه المخلفات» ونظرت الى بري وقالت «كم عمرك؟».

انحنت بري لترفع جواربها واجابت ببساطة «لا ادري، يمكن خمسة عشر».

فقالت مارثا «عجيب فهذه الملابس ارسلتها لك ميري وهي في الثالثة عشرة، كم انت صغيرة البنية؟».

التصبت بري بقامتها وقالت «قد اكون صغيرة البنية ولكني قادرة على الاعتناء بنفسي، فلا اهمية للحجم واذا لم يستسغ اللورد هذه الملابس فساخلعها، انظري؟».

صاحت مارثا وهي تضحك «الهي! حذار ان تخلعي ملابسك وانت في القصر مهما يعلق اللورد!».

وايدت السيدة بيرشور هذه الملاحظة وقالت «فاذا نزعت ملابسك سيطردك اللورد فوراً».

فقالت بري «آه... اذن لا يعجبه ذلك... فلن افعلها ولكن لا استطيع ان اعمل وانا بمثل هذه الملابس وهذا الحذاء؟ فهو يقرصني ولن استطيع الركض» «كلا فالحذاء اصغر من اللازم» اجابت مارثا واضافت «ساستعير لك زوجاً اكبر، لا تيأسي واطلب من الآنسة بيرشور ان تعلمك كيف

www.rewity.com وردة دمشق منتديات روايتي ٨٨

تنحني بالتحية وكيف تتكلمين بلياقة مع الآنسة سلينا. . .
واذا جئت للقصر غداً فسنجد لك فستاناً اجمل».

اخيراً امرت الآنسة بيرشور ضيفتها بالذهاب الى غرفتها والنوم فوراً لكي تقعد هي مع صديقتها امام النار الدافئة والدخول بآخر الاخبار والاحداث المحلية وبالطبع موضوع بري كان اول المواضيع فقالت العجوز «طفلة لطيفة، رغم حدتها وللأسف اسأت الظن بها اول الامر» ثم سكبت قدحين من البيرة وقدمت احدهما لصاحبتها التي اجابت «نعم، انا ايضاً اسأت الظن خاصة وهي شابة وشبه عارية الى آخره. . . ولكني اعتقد الآن ان الموضوع محترم تماماً».

«طبعاً فاللورد لن يجلب عشيقته هنا! فكل الامور محترمة وستكون هي هدية للآنسة كورتني».

«ليس من العدل ان يكون انسان هدية وانت تعرفين مزاج الآنسة كورتني، فلن ترحب بهذا الجمال وهي التي تريد ان تتوجه لها كافة الانظار وترفض اية منافسة».

استغرقت العجوز في الثرثرة مع صديقتها ولم تدركا بأنه في نفس هذه اللحظات كانت بري قد نزعت الملابس الجديدة ورتبتها بعناية وارتدت جلبابها الاصلي وتحفت لتريح قدميها واخيراً لفت كفتيها بالوشاح الغامق السميك وابتسمت ابتسامة ساخرة فهل ستذهب للنوم؟ لا والف لا، تأكدت الآن ان الآنسة بيرشور انشغلت عنها انهمكت بالثرثرة فهي راشيل بري كانت ولا يهمها ان كانت حرة او

عبدة وستفعل ما يحلو لها وقد قررت ان تذهب للقصر لترى سبب عدم عودة اللورد للإيفاء بوعده بأن يراها في الملابس الجديدة الفظيعة وحتى اذا كان قد نساها او لا يريد ان يراها فهي التي تريد ان تراه!.

سارت بقدميها الحافيتين الى الباب وسمعت ان حفلة بسيطة تقام الآن بمناسبة عودة اللورد وان الرقص سيستمر حتى وقت متأخر من الليل فاستنتجت بري سبب عدم عودة اللورد الذي نسي عبدته المخلصة. . . ملذات الحفلة! . . . فلن يوقفها شيء الآن من الذهاب الى القصر لرؤية ما يعمله اللورد.

دبت على رؤوس اصابعها الى الشباك وفتحته بهدوء ثم انزلقت منه الى ستر الاشجار واختفت بين طيات الظلام وسارت بنفس اتجاه سير العربة وسرعان ما رأت القصر لأول مرة ونفس العربة امام الباب ولكن الانارة الامامية خافتة فادركت بأن الحفلة لم تكن في الغرف الامامية لذا تسللت حول القصر وتوجهت الى الجزء الذي تنبعث منه اصوات مرتفعة جداً، وبينما هي في الحديقة لاح لها خيال شخصين جالسين بين الاشجار، فاقتربت قليلاً وتخفت كي لا يرياها، كانت بعيدة قليلة عنهما بحيث استطاعت ان تراهما فاذا به اللورد ومعه آنسة جميلة، وكذلك استطاعت ان تسمع الحوار الذي كان يدور بينهما. حيث سمعته يقول لها «يا اجمل مخلوق! انت لا تجرحي شعور اي انسان والآن اريدان اسألك سؤالاً مهماً. . .».

قاطعته الآنسة كورتني بدلع وقالت «ليس الآن». ووقفت وقالت «هذا المقعد رطب... وارغب ان اعود الى الحفلة قبل ان يفتقدونا» فوقف امامها وقال «كنت اريد ان احدثك عن الهدية الجميلة التي جلبتها لك من جامايكا... ستعشقينها وستؤكد لك اني كنت متشوقاً اليك».

ساد سكون ثقيل وعرفت بري بأن الفاتنة توازن في مخيلتها بين الحفاظ على سمعتها والعودة فوراً وبين سماع تفاصيل الهدية وفجأة قالت الفاتنة «ما هي؟» واقتربت من اللورد وقالت «اخبرني يا كرسبن».

اقتربت الفاتنة من اللورد بحيث لم تتمكن بري من فصل شبحهما عن بعض وانتابتها موجة غضب غير مبررة رغم ذلك استمرت بالاستماع لما سيعلمها حديث هذا المساء.

فاجاب اللورد «انها صغيرة جداً وتعتبر للزينة وبنفس الوقت فهي مفيدة ايضاً... ولا تملكين منها الآن!» ابتعدت عنه قليلاً وقالت «اخبرني» الا انه مد ذراعيه وضمها اليه وقال «ساخبرك اذا سألتني بلطف» وبدون اية كلمة اخرى احنى رأسه وقبل وجنة الآنسة كورتني فقاومته لمجرد لحظة عابرة ثم استسلمت لقبلاته المتلاحقة واحنت هي رأسها لتسلمه شفتيها وطبق فمه بشغف عليها وبدت كمن يذوب بذراعيه وأنت من فرط السعادة.

لم تحتمل بري كل ذلك فمسكت طرف فستان الفاتنة وسحبته بعنف ولكن الفاتنة لم تتحرك ولم تنطق بل رجعت

خطوة الى الوراء ودهست يد بري بكعب الحذاء المرصع بعنف شديد.

اطلقت بري صيحة اشبه بأنين جرو متألم ورفعت طرف الفستان بيدها الاخرى وعضت ساق الفاتنة بكل قوتها واحنت بتمزق نسيج الجوارب الحريرية تحت اسنانها الحادة.

صرخت الفاتنة ونست كل القبلات وقفزت للامام فدفعت كرسبن من طريقها واخذت تبكي بصوت مرتفع ثم امسكت بكاحلها واخذت تشتم الجرو اللعين الذي عض ساقها ووجهت كل اللوم الى كرسبن.

«كرسبن... كل هذا بسببك انت... كيف تجرؤ ان تجلبني هنا مثل خادمات المطبخ! والآن سمحت لكلبك التعس ان يعضني حتى برزت عظام ساقي... يجب ان تقتل هذا الوحش!».

الا ان كرسبن افاق فوراً بعد الصيحة الهستيرية التي اطلقتها صاحبته ورأى الجسم الصغير وهو يفر بين الشجيرات الى الظلام.

فاجاب بصوت مرتفع «كلا لم يكن كلباً. بل قطة صغيرة، ولا تقلقي يا حبيبتي ساتدبر الامر من ذلك المخلوق».

«اقتلها... آ... آه الألم يقتلني... كرسبن ساعدني بالرجوع الى الداخل...».

«طبعاً عزيزتي اود ان احملك لولا الناس، تعالي

استندي علي وافضل ان تدعي بأنك زلقت على السلم».

«لن افعل شيئاً كهذا... كرسبن لقد هوجمت وعليك ان تنتقم لي».

«سافعل يا حبيبتي وساصحبك للداخل واعود هنا» ثم التفت الى اظلم بقعة في الحديقة ورفع صوته وقال «اني متأكد بأن الشيء الذي هاجمك لن يتحرك من مكانه الى ان اعود والا ساغضب جداً».

- ٣ -

وزنت بري هذه الكلمات وعلمت بأنه رآها فقررت البقاء والاحتماء بعاطفة اروع انسان عرفته في حياتها.

غاب فترة طويلة وهي ترتجف بالظلام وقد اختفت كل آثار متعة تلك العضة القاسية.

عاد اللورد وبيده فانوس كبير ولم يتلفت بحثاً عنها بل توجه الى المسطبة وجلس هناك وقال «تعالي هنا» دون ان يلتفت نهائياً.

تقدمت بخطى بطيئة الى ان وقفت امامه وقد احنت رأسها.

«لماذا كنت تتجسسين علينا؟».

«كنت... وعدتني ان تأتي لتراني بملابسي الجديدة ولم تأت... و...».

«ولماذا عضيت ساق الآنسة كورتني؟» وكان صوته يرتعد من الغضب.

«انت... هي... انت».

«لا تمتمي ايتها الطفلة الحقاء... تكلمي بوضوح».

«عندما كنت تحتضنها دهست يدي وعضيتها قبل ان اعي ما اعمل».

حول نظره الى الحديقة ثم عاد ونظر اليها وقال «فهمت السبب ولكنك كنت تتجسسين علينا وانك تعرفين انك مخطئة وليس من حقك ان تتبعينا الى الحديقة؟».

تنهدت واحنت رأسها مرة اخرى وقالت «نعم، كنت اتجسس». واعترفت بالقول «كنت سيئة الخلق» ورمقته بنظرة خاطفة وشفتاها ترتجفان وقالت «هل ستضربني؟».

لم يجب لفترة ثم مد يده وسحب يدها ليتفحصها بضوء الفانوس وسمعته وهو يزفر باستنكار عندما رأى اثر الكعب الحاد في الجلد الرقيق. ثم قال بصوت اقل قسوة «لا، لن اضربك هذه المرة، فقد تألمت بما يكفي وسيبقى الأثر لمدة طويلة ولكن الجلد لم يجرح».

ففحصت يدها لأول مرة بالضوء وقالت بصوت خجول «كلا لم اجرح» ثم سألت «هل الشيء السيء ان اعض او ان اتجسس؟».

زم شفتيه بقوة وقال «كلاهما... كلاهما سيء جداً وانك تستاهلين الجلد ولكن لهذه المرة فقط...» هنا تقطع صوته ونظرت اليه بحيرة فقال «هيا اذهبي ولا تفعلي

مثل ذلك مستقبلاً... والا...» ولم يكمل عبارته اذ نهض وسار الى القصر بخطى واسعة والفانوس بيده.

عادت بخطى حزينة الى دار العجوز وانبت نفسها لسوء اخلاقها ثم اخذت تركض ووعدت نفسها ان لا تتجسس وان لا تعض احداً ثانية. ابداً. وتذكرت تلك المرأة الفاتنة المكروهة واخذت تفكر بما سيحدث لو تزوجها اللورد. تتابعت في مخيلتها عدة افكار الى ان وصلت النافذة وانزلقت منها الى الداخل وراحت تقتنع بكفرة وجوب القيام بعمل غير ضار يؤدي الى منع زواج اللورد من الحسناء. وتذكرت ماما لوجيا وجرعة الحب فاذا تمكنت من استخدام هذه الطريقة بشكل صحيح ستجبر تلك الحسناء على ان تعشق شخصاً آخر وتتزوجه ولكنها تذكر الجرعة التي اعطتها اياها ماما لوجيا لتوقعها بغرام ذلك البرتغالي الكريه وبدلاً من ان تقع بحبه اصيبت بآلام المعدة. وتذكرت شدة تلك الآلام كما تذكرت في اوصال الفاتنة فلا يضمن ذلك ابتعاد اللورد عنها وانزلقت بسكون الى فراشها واستمعت الى العجوز وهي تتكلم الى صديقتها فعلمت ان مغامرتها لم تنكشف محلياً.

عادت لتفكر باساليب التخلص ففكرت بالسموم والسحر الذي يسقط الشعر او يتلف البشرة وارتاحت عندما تصورة الحسناء وقد سقط شعر رأسها وتجعد وجهها فتمتعت بنوم هادىء.

اما اللورد نفسه فبعد ان وصل الى غرفته واحتمى خلف

ابوابها الموصدة ابتسم لذكرى شجاعة تلك الطفلة الجريئة، وعن الانكسار التي سترتسم على وجهها عندما سيهديها الى باميلا في الصباح، ستكون عقوبة عادلة لتلك القطة الصغيرة.

كما شعر بان استياءه البالغ بسبب فزع وجرح باميلا كان مبالغ به فالجرح كان صغيراً جداً اما جاريته الصغيرة فكانت يدها متضررة بشكل مؤلم. وابتسم لنفسه فرغم كل مساوئها كانت العبدة طفلة لطيفة ومؤنسة ولها عواطف جياشة وحاول ان يوهم نفسه بأن عواطفها ستتحول الى حب سيدتها الجديدة بمجرد ان تعطف عليها هي.

لا شك في الموضوع فباميلا جميلة جداً وشعرها الذهبي وبشرتها البيضاء وعيونها الزرقاء الكبيرة كافية لسحر اي مخلوق وايقاعه بحبها، اخيراً دخل الفراش ونام بهدوء بدون احلام ولم يعرف ما يدور بمخيلة بري.

شاءت الصدف ان يتأخر احتفال توزيع هدايا اللورد اياماً اخرى بسبب تأخير امتعته على ظهر السفينة وبالتالي ستبقى بري يوماً آخر في دار العجوز، ولم يزر اللورد دار العجوز باليوم التالي عقاباً لبري على فعلتها ولكنه جاء باليوم الثالث لتقبيل وجه السيدة بيرشور والسؤال عن جاريته.

دخلت بري للغرفة وحيته بانحناءة عميقة ولم ترفع له عينيها ابداً بل وقفت امامه بملابسها الجديدة ورأسها المنحني وقد عنيت بشعرها كثيراً الى ان اخذ يلمع وقد صنعت منه عقدة كبيرة فوق رأسها وسمحت لثلاث خصال

ان تتأرجح كلما تحركت.

نظر لها ملياً فهي الآن جميلة ومثيرة وازعجه انها لا تنظر اليه، فلماذا لا تنظر اليه بعينيها الساحرتين الكبيرتين؟ ولكنه قال «تبدين رائعة» وصلح لفظه بسرعة وقال «لائقة تماماً» فابتسمت ورمقته بابتسامة خاطفة وعادت لتنظر الى الارض واجابت «نعم ابدو جميلة ولكني اكره هذا المشد».

ابتسم اللورد وايقن ان الضعف والطاعة سطحيان فقط فقال «انك تنحنين بالتحية بشكل رائع» وطبطب على رأسها مشجعاً وهو يريد ان يرى عينيها الساحرتين تنظران اليه ولكنها سمرت بصرها على الارض.

ففقد صبره وقال بحدة «لحب الله انظري بوجهي عندما تكلميني... ما بك؟» دهشت ونظرت اليه بعينين واسعتين وقالت «لا افهم فالسيدة بيرشور امرتني ان لا ارفع بصري وان لا ابحلق ايضاً».

تحرك بشيء من الارتباك وقال «اعتقد بأني فعلاً لا انظر للخدم عندما اكلمهم ولكن كيف ستتكلمين مع سيدات القصر؟ فانا اريدك ان تنظري لوجهي كلما اكلمك لأني اريد ان اعرف بم تفكرين ولن اعرف ذلك بالنظر الى قمة رأسك. فهمت؟».

فاجابت بفرحة صبيانية «جيد، ساقول للسيدة بيرشور بانها مخطئة واعتقد بأنه... كيف نقول... خباثة... ان ننظر للارض طيلة الوقت».

فاجاب «لا تكوني بهذه الصراحة يا صغيرتي. يجب ان

لا تؤلمي السيدة بيرشور. عليك ان تتصرفي بلطف وان تطيعي الاوامر فوراً، ولا ادري لماذا فضلت ان تبقي نظرك الى الارض».

دخلت السيدة بيرشور الغرفة بنفس تلك اللحظة فأمرت بري بالخروج وقالت للورد «اريد ان اكلمك».

«نعم بيرشي.... ماذا تريدين؟ ولماذا النظر الى الارض دوماً؟».

«سيد كرسبن، ان ذلك المخلوق الصغير الذي اشتريته، مخلوق خلاب بلا شك ولا يقصد الأذية، ولكنها اذا ذهبت الى القصر ولبست ملابس جذابة بصر واسع ورمقت السادة بتلك العيون الساحرة فلن تسلم! وابن عمك جروم وصل مساء امس اليس كذلك؟ فكيف سيتصرف هو لو رمقته بواحدة من تلك النظرات العذبة الخلابة؟ عليك ان تحميها من نفسها».

«نعم... فهمت الآن ما تقصدين ولكن اذا لاقت جروم فيجب ان تكون حذرة جداً ولا تحيد بصرها عنه ولا تقف مكتوفة الايدي ابداً».

هزت رأسها وقالت «السيد جروم خطر دائم ويعتقد بأنه زير نساء وفارس الفرسان ووحيد زمانه والله اعلم ماذا... فاذا استساغ تلك الفتاة فلن تتاح لها فرصة نجاة».

«لم افكر بذلك وساخبر جروم بأنها مجرد طفلة بريئة... ولكن...».

فقاطعته العجوز وقالت «يجب ان تعلم بأنه كان كثير

الاهتمام بالآنسة كورتني واذا هديتها بري ستحل مشكلتك فلن يجازف السيد جروم ان يشوه صورته بمطاردة وصيفة الآنسة كورتني» واضافت بشيء من التفكير «سيكون للآنسة كورتني مهر كبير كما سترث ثروة طائلة بعد وفاة والدها لأنها طفلة وحيدة ولن ينسى ذلك ابن عمك جروم قط، اضافة الى جمالها الباهر».

«عجيب... لم تذكري شيئاً عن جروم... رغم عدم اهمية ذلك وانا ساهدي طفلة الى بام... الآنسة كورتني ستعجب بها كثيراً وكما قلت ستعتني بها احسن مني».

«ليس هذا ما قلت» صححت السيدة بيرشور «على كل حال يا سيد كرسبن عليك ان تذهب الآن فقد شاهدت البنت بالملابس الانيقة وعلي ان اعلمها الكثير وستأتي بعد قليل كل من مارثا وبولي لنستغل رؤوسهن بالعمل».

«رؤوسهن؟ يا له من تعبير سيء... له تنوين قطعهما!؟».

«سوف ادرب بري على كيفية تسريح شعر السيدات واذهب الآن فنحن مشغولات وان لم يكن لك انت اي عمل».

طيلة هذه الفترة كانت بري منحنية خلف الباب لتسترق السمع من ثقب المفتاح فسارعت الآن لغسل وشاح صوفي رقيق لكي تظهر بأنها كانت مشغولة طيلة هذه الفترة الا ان اللورد خيب آمالها وغادر البيت دون ان يطل عليها ورأته من خلال نافذة المطبخ وهو ينصرف.

بعد قليل حضرت مارتا وبولي وهما تتضاحكان وسلمتا رؤوسهن الى رحمة السيدة بيرشور والى ايدي بري غير الماهرة وقد اظهرت بري ذكاء متميزاً وميلاً طبيعياً وبسرعة لتعلم كيفية اخضاع الشعر للتصفيف بحيث كانت السيدتان راضيتين تماماً عندما عادتا الى القصر.

«انا احسنت عملي... نعم؟» سألت وهي تواجه العجوز التي اجابت «احسنت بشكل جيد جداً واريدك الآن ان تكوي الفستان الذي غسلتيه صباح هذا اليوم».

«لنفترض بأنني سخنت المكواة اكثر من اللازم؟» سألت بصوت حزين فقد جربت كي الملابس ووجدته مملاً ومتعباً ومليئاً بالمخاطر لأنها ميالة الى الخيال وترك وزن المكواة وحرارته اكثر من اللازم بحيث حرقت احسن قمصان اللورد.

فامرتها العجوز «هيا للعمل».

- ٤ -

ولاحظت العجوز ان بري تلجأ غريزياً الى الكلمة الفرنسية كلما تغضب او يصيبها السأم ومن خلال خبرتها في تربية الاطفال وفي كشف اكاذيبهم واعذارهم الزائفة بسرعة احست بما يدور بخلدها فقالت «لم اقل ان كي الملابس شيء ممتع ولكنك ستكوين الكثير من الملابس اثناء عملك بصفة وصيفة. انتهي للتعليمات وركزي انتباهك على حركة المكواة» وكي ترفع معنوياتها اضافت «وعندما يصبح الفستان مكوياً كما يجب فسوف نشرب كوب شاي ممتاز مع فطيرة بلحم الحمام».

استغرق كي الفستان بما يرضي السيدة بيرشور وقتاً طويلاً وادركت ان السيدة العجوز جمعت كمية كبيرة من

الفساتين جاهزة لهذا العمل وكلما اتلفت احداها تصيح العجوز «لا عليك خذي فستاناً آخر وجربي كيه» وقد كوت الفستان الحادي عشر بشكل جميل جداً وارتاحت عندما ركنت المكواة وقالت «اكره كي الملابس!... افضل البحارة...!».

استدارت السيدة بيرشور ورمقتها بنظرة غضب رهيبة وقالت بعد فترة «ساتظاهر بأني لم اسمع ذلك التعليق، يا آنسة، ولا تعرفي شدة سوء ما قلت واذا سمعتها منك ثانية ساجعلك تكوين عشرين فستاناً آخر. الآن اجلسي وستناول الشاي والفطيرة».

قدمت العجوز الفطيرة والشاي فأكلت بري بنهم وبعد ان افرغت ما في صحنها قامت بدلع وركضت واحتضنت العجوز وقالت «انت طيبة جداً، وانا اكره كي الملابس ولكن لأجلك انت فلن ابالي، ارضيت؟».

انتهت وجبة الطعام على هذا النمط الوديع فقامتا لتنظيف المائدة وغسل الاطباق وبعدها قالت العجوز «ساذهب الآن لزيارة صديقة في دارها وانت حرة بالبقاء او المجيء معي» فقالت بري باحلى ابتساماتها «كلا سأبقى هنا قرب النار الدافئة لاصلح قميص اللورد... عسى ان لا يلحظ ما جرى».

«جيد يا عزيزتي، فإن تأخرت اذهبي ونامي».

لكن وفور خروج العجوز خلعت بري حذاءها وجواربها والتفت بالوشاح وتوجهت الى القصر الذي وصلته بسرعة

واخذت تطوف حوله للتعرف على ما يحيط به من بيوت وحدائق وداهمها كلب الا انها واجهته بشجاعة وكلمته بلطف حتى آمن ثم داعبته وحولته صديقاً اخذ يتبعها اينما ذهبت في جولتها الليلية.

عبرت الساحة المبلطة وشمت رائحة الخيل وشعرت بحرارة ابدانها الممزوجة بعطر الزهور وبروائح السماد ووجدت الاسطبل وفتحت الباب وانسلت الى الداخل فهي تعشق الخيل وتريد ان تراها عن قرب ولكنها سرعان ما انتبهت الى بعض الضوء ينبعث من الزريبة الاخيرة فتقدمت ببطء شديد حتى وصلت السياج الأخير ونظرت من خلفه.

هناك فرس جميلة جداً واقفة على ثلاثة قوائم اما القائم الرابع فهو بقبضة شاب وسيم اسود الشعر اكبر من اللورد بسنوات يرتدي ملابس فاخرة وكان يعتني بحافر الفرس فبقيت تراقب عمله حتى اخذ اللفاف وحاول لفد القائم الا ان الفرس جفلت وتحركت بعصبية فداست بأحد حوافرها على قدم الشاب الذي صرخ واخذ يسب ويشتم باعلى صوته وبنفس الفاظ البحارة.

تقدمت بدافع غريزي ودفعت الفرس وقالت بصوت حنون «سأمسك الفرس كي تشد اللفاف».

تفحصها بعينين سوداوين وعلت شفتيه ابتسامة خبيثة وقال «بالله عليك يا حسناء من اين نبعت هكذا؟».

«من بيت السيدة بيرشور حيث اسكن». اجابت ببراءة ودفعت الفرس لتمنع حركته ريثما يشد اللفاف وسألته

«سيدي، من انت؟ ومن اين اتيت؟».

الا انه اكمل شد اللفاف واخذ يدرس الفتاة وكانت نظراته جريئة وشفتاه مغريتان والابتسامة تتراقص بعينيه ذات الحواجب العريضة.

«اسمي جروم هاركورت يا آنسة بيرشور وقد جئت الى القصر لأحضر زفاف ابنة عمي سلينا».

ضحكت بحياء وبراءة الاطفال وقالت «انا لست الآنسة بيرشور! انا اسكن هناك فقط اسمي بري».

«بري، يا له من اسم غريب» وتقدم الى ان اصبح قريباً جداً من الفتاة وامسك كتفيها بيدين حديديتين. ادركت فوراً انها غير قادرة على مقاومتهما وقال ثانية «بري، يا له من اسم غريب».

جمدت اوصالها وقالت ببراءة «ليس ذلك اسمي بكامله...» ولكنها لم تكمل حيث رأت عينيه تقدحان وقد احنى رأسه وطبق فمه على فمها بقوة وضمها الى صدره بقوة.

انفجر الرعب في كيانها كالقنبلة ولم يأبه بل استمر بمحاولة فتح فمها غير مبال بتأوهاتها ودقات قلبها السريعة ومحاولاتها العنيفة للتخلص، وسحبت رأسها من رأسه لبرهة خاطفة وشعرت بيده تتحرك ببطء على ظهرها وانطبق فمه على فمها مرة اخرى.

جمعت كل قواها وركلته على عظم الساق وسحقت

مشط قدمه ولكنه ضحك وامسك قبضة من شعرها الكثيف وسألها «كل هذا لمجرد قبلة؟!» واكمل «سآخذ قبلة ثانية لتجرؤك على مقاومتي» فصرخت، وفجأة شعرت بأنه تركها وقد ارتمى على جانب الزريبة وعلى وجهه انطباع بشع وقد وقف فوق رأسه اللورد اونيل بقبضة مشدودة وغمر وجهه غضب يعادل غضب ابن عمه.

«انهض يا جروم لأكسر اسنانك وادفعها في جوفك. كيف تجرؤ على الاعتداء على خدمي في اسطبل داري؟».

وقف جروم وعلى شفتيه ابتسامة وقحة ولم ينظر الى بري وهي ترتعد في الزاوية وقال «يا ابن عمي لماذا كل هذا العنف؟ لن اقاتلك بسبب طفلة! فهي جميلة وكل ما عملت اني قبلتها! فوالله اتحداك ان تقول انك لم تعمل مثلي يوماً».

«كلا، فانا لا اعتدي على الاطفال» بصوت بارد جداً «ولن تفعل ذلك وانت تحت سقف داري، افهمت؟ عليك ان تترك بري تماماً».

«مفهوم...» والتقط ملابسه ليلبسها وقال «اكملت ساق الفرس وساذهب الآن الى القصر».

شهدت بري كافة تلك الاحداث وهي جامدة في زاويتها وحتى بعد ان فض النزاع ورتب جروم الحاجيات من سطل ومشزر وتبن والى ان اخذ باقي ملابسه وانصرف ولكنه استدار في باب الاسطبل ورمق الكونت بنظرة خبيثة وقالت «هذه اذن سلوتك العاطفية! انك محظوظ ولا اللومك ولكن

ما رأي باميلا» فاجابه اللورد.

«ترى ماذا سيكون رأيها اذا اخبرتها بأني ضبطتك في محاولة اعتداء على خادمة في الاسطبل!؟ الم تفكر جروم!؟».

فابتسم جروم وقال بنبرة اعتذار «يا للجحيم يا ابن العم... تصرفت كالكلب واني آسف واشعر بنفسي ابلهاً ولكني احاول استمالة باميلا منذ فترة طويلة ولم انظر الى اية فتاة اخرى منذ اسابيع و... تعرف الباقي» وهنا غمز باتجاه بري ولحظ انها ما زالت ترتعد فقال لها «اخطأت واعتذر... ارضيت؟» ضحك الرجلان معاً وقال الكونت «لا بأس، نسينا كل شيء» وبهذه الكلمات ترك جروم الاسطبل وتباعدت اصوات خطاه.

- ٥ -

بعد ان تأكد بأنهما بقيا وحدهما ذهب اللورد الى بري ورفع وجهها ليجبرها على النظر اليه وقال بحنان «اما زلت خائفة يا كتكوت؟ فأنت جميلة جداً واجمل من ان تتجولي وحدك في الليالي. قد يعترضك من هو اشرس من جروم!».

استمرت تنظر اليه وسالت دموعها الصامتة حتى عبرت زاوية فمها ووصلت رقبتها فأمسكها برفق وسألها بقلق «ماذا فعل بك؟ الم تكن مجرد قبلة؟!».

بقيت تنظر اليه وشحبت وجنتاها وهي تقول «اجبرني... اجبرني ان...» فصاح وقد انتابته موجة غضب عارمة «ماذا؟!... اجبرك على ماذا؟» وقد تحول

الى كتلة غضب هائج والشرر يتطاير من عينيه... فاكملت وهي ترتعد من الخوف «اجبرني ان افتح فمي». واجهشت بالبكاء.

احتضنها برفق وتركها تبكي لتستريح ولم يبال بمعطفه الذي بللته الدموع وربت كتفها حتى خفت حدة توترها تدريجياً وقلت شهقات بكائها وشعرت بحنان يديه وهو يعدل خصلات شعرها المبعثرة... كما شعرت بقوة وحرارة المسالم ونظراته الحنون وسمعت صوته الماسي يقول «بري... يا طفلتي العزيزة... فتح الفم... احياناً جزء من القبلة... لم يصبك ضرر... انت بخير».

قالت وقد تعبت من البكاء «آه... اشعر اني محطمة» شعرت لوهلة خاطفة نظراته اليها متفحصاً فاذا بالشال ملقى اثناء المعركة ونهديها بارزين باغراء فوق فتحة فستانها وفمها الوردي اللون متورم قليلاً بتأثير قبلات جروم اما عيناها فمغسولتان بالدموع وهما تتطلعان اليه بحب واعجاب مطلقين.

ابتلع اللورد ريقه وشعر برغبة هوجاء باحتضان الفتاة وضمها اليه وتعليمها معاني الغرام. ولكنه انب نفسه واقنعها بأن حبه لباميلا يجب ان ينفي مثل هذه المشاعر وما بري سوى عبدة صغيرة وحمايتها واجبة عليه... عليه ان لا... ان لا...

اخيراً ابتسم وقال «انك سليمة تماماً ومضطربة بسبب افعال ابن عمي. سآخذك الآن الى دارك وعليك ان تنامي

وتنسي كل ما حدث. شرط! ان لا تفارقي السيدة بيرشور حتى تنتقلي رسمياً الى القصر. وفي القصر عليك ان تحبسي نفسك بغرفتك وتقفلي بابها بالمفتاح».

سار بجوارها الى الدار الصغير واسترجعت هدوءها تدريجياً بتأثير الهواء البارد المنعش حتى وصلت الى شباك غرفتها فقالت بصوت خافت خجول «هذه ثاني مرة تنقذني فيها... وانا الآن بخير... وليس لتلك القبلة اهمية...» فاجاب «ليست مهمة... ولن تتكرر والآن اذهبي ونامي ستنتقلين صباح الغد الى القصر».

«هيا يا بري، لا تكوني خجولة، لقد رتب اللورد كافة الهدايا التي جلبها من جامايكا في الصالة الرئيسية ويريدك هناك لأنك بشكل من الاشكال ضمن تلك الهدايا وسوف يشرح الامر لوالدته التي ستأويك وتحدد واجباتك».

تعمدت السيدة بيرشور ان لا توضح لبري هوية الشخص الذي سيستلمها حيث ادركت مدى تعلق بري باللورد كما انها لم تطمئن الى مشاعره هو نفسه.

اما الآن وقد دخلت بري من الباب الرئيسي للقصر واخذت تسير على المرمر الصقيل وهي تنظر الى رسوم الاجداد قالت لنفسها بصوت مرتفع لتتغلب على صوت دقات قلبها «لست خائفة! ليس هناك ما اخافه! لا يعرف اي واحد منهم اني انا التي احرقت قميص النوم واتلفت تلك التنورات».

رمقتها مارثا بنظرة استفسار ولكن قبل الجواب وصلتا

الى الصالة الرئيسية وجفلت بري امام الحشد الكبير ثم اطمأنت عندما وقع بصرها على اللورد قرب كدس الهدايا فتنهدت وارتاحت تماماً عندما رآها واقتربت حتى اخذ بيدها واقتادها حتى اوقفها قرب مجموعة الهدايا وقال «انظري يا بري! هذه الهدايا لأفراد عائلتي ولخدمي سأنادي اسم كل منهم وعليك ان تحملي هديته اليه وتنحني له قبل تسليمه هديته ثم تعودين قربي. مفهوم؟».

هزت رأسها ايجابا باضطراب واضح وسألت «كيف سأعرف اصحاب الاسماء» فأجاب «افهمتهم ان ينهض كل من اذكر اسمه ويتقدم خطوة للأمام باستثناء والدتي... السيدة اونيل... وهي السيدة ذات الشعر الابيض الفضي الجالسة على الكرسي المخملي الازرق. هل تستطيعين تنفيذ ذلك؟».

«نعم... اعتقد» وعرف من نظراتها بأنها تريد ان تسأل شيئاً وفعلاً قالت «ابن عمك، سيدي هل علي ان اسلمه هديته؟» فابتسم وقال «نعم بري فهو آسف لما فعل ولن يعضك، ليس امام هذا الحشد، لا تخافي منه» حولتها الكلمة الاخيرة من طفلة وديعة الى شابة ثائرة وقالت «خائفة! منه! انا لا اخاف اي انسان!» فادرك شعورها وقال «حسناً والآن اول الهدايا، هذه اللوحة المنحوتة الى اختي الأنسة اليانور» خطفت بري اللوحة بعصبية وسارت مسرعة عبر الصالة الى اخته وكادت ترمي الهدية باحضان الاخت المبهورة، فشكرت الأخت اخاها ونظرت الى بري وباستياء

واضح كما شاركها نفس الشعور معظم الموجودين.

ولكن بعد الهدية الأولى عادت الى طبيعتها وسلمت كل هدية بانحناءة لبقة ونظرة مكر لعوب في عينيها البراقتين وجاوبتها نظرات حنان من الكبار ونظرات اعجاب شيطانية من شباب الخدم، اما جروم فلم تبتسم بوجهه في حين ابتسمت للآنسة كورتني التي استلمت تمثال فيل من العاج مع مروحة من ريش الطاووس، بعد ان وزعت كافة الهدايا الصغيرة انهمك الخدم يتفحصون هداياهم نظر اللورد اونيل الى الهدايا الثمينة المتبقية وهي قلادة من اللؤلؤ الفاخر لأخته سلينا وصندوق الأواني الخزفية للسيدة والدته واخيراً الجارية المملوكة بري.

لم يكن بمقدور الطفلة حمل صندوق الأواني لذا نادى احد الخدم لتسليمه لوالدته وقد ابدت سعادة عظيمة لاستلام هديتها وباشرت بفك الصندوق فوراً وتفحصت كل قطعة منها، وخلال تلك الفترة كان انتباه اللورد على وجه وتقاطيع الأنسة كورتني وهي تنظر الى بري نظرات كره وازدراء واضحين بحيث ادرك ان باميلا لن تحتمل هذه الجارية.

بعد ان انزلت والدته آخر القطع توجهت الانظار اليه مرة اخرى بأخذ نفساً عميقاً، ووضع يده على كتف بري. فوجيء بأنه صغير جداً وضعيف جداً كما شعر بها وهي ترتعد وتقترب غريزياً منه لتحتمي به بحيث ايقظت فيه كافة مشاعر الحماية واخذ يحرك اصابعه على كتفها الرقيق

www.rewity.com
وردة دمشق
٨٨ مندلات روايتي ٨٨

بهدوء وحنان ليطمئنها وقال.

«اتوقع بانكم تتساءلون عن هذه المخلوقة الصغيرة، ان لها اسماً فرنسياً طويلاً جداً ولذلك فسنسميها مجرد بري، جارية جاءت من افريقيا وهي هدية...» هنا شعر بجفاف فمه وبأس كامل بسبب انطباع الادانة والقسوة والبغضاء على وجه باميلا فقال.

«هدية لشخص عزيز جداً علي» وسمع صوته يستمر تلقائياً ليقول «اختي العزيزة الغالية سلينا، جئتك برفيق وخادم وآمل ان تصبح صديقتك». وعصر كتف بري وقال لها بصوت منخفض «آخر واجباتك مني هو ان تقدمي نفسك الى اختي الآنسة سلينا، التي ستصبح عن قريب زوجة السيد تفتون ماب».

- ٦ -

لاحظ اللورد انطباع وجه والدته وهي تنظر الى بري اثناء عبورها الصالة وكانت نظرة تفكير عميق جداً على وجه هادىء جداً ولكنها ابتسمت بحنان مبالغ به ومدت يدها الى الطفلة واحتضنتها بالطريق.

اما سلينا فقالت «يا لها من مفاجأة رائعة» رغم انها كانت مرتعبة وقد اخفت حقيقة شعورها لمتطلبات اللياقة واضافت «انا متأكدة بأن بري ستصبح خادمة ممتازة وسنكون سعيدتين معاً، شكراً يا اخي العزيز».

اضاف اللورد بشيء من العصبية «انها فتاة جيدة الآن آخر الهدايا» ورفع القلادة من علبتها الحريرية ورأى بريق عيني باميلا عندما رأت الحبوب الخشنة المتماثلة فقال: «اللؤلؤ

الى اللؤلؤة» وسلمها العلبة بنفسه.

انتهى الاحتفال وتفرق الحشد باستثناء بري التي وقفت حائرة قرب سلينا ولكن سلينا بقلبها الطيب امسكت يد بري وسارت معها وحادثتها لتدخل الطمأنينة الى قلبها فقالت «بالطبع انا عندي وصيفة واسمها مارثا ولكن بدون اي شك سيكون بمقدورك ان تساعديها وعلى كل حال سآخذك الى غرفتي واريك اين ستنامين وما هي واجباتك» ونظرت الى باميلا وقالت «باميلا! من يفكر بشيء رائع مثل هذا؟ يا له من اخ لطيف» نظرت بري الى باميلا ورأت العداء الصريح بتلك العينين الزرقاوين والفم المشدود وتعبير عدم الرضى، وسمعتها تقول «ما الفائدة ولأي غرض؟ فبامكانك ان تستخدمي فتاة من الملجأ لقضاء كافة اعمالك مقابل ثمن اسبوعي بخس في حين يكلف العبيد مبالغ خيالية رغم انك ستسيطرين على جسمها وروحها!».

لم تجب سلينا وفتحت باب غرفتها وسحبت بري الى الداخل واخذت تتفحص الفتاة بحيرة واضحة.

نظرت بري الى سلينا ووجدتها تشبه اخاها وجهاً الا انها اسمن ونظرتها سموح وصوتها رقيق ومسالم ولا تمتلك اياً من مظاهر الاقدام والحزم الثابتين على وجه اللورد.

«انك تتكلمين الانكليزية، اليس كذلك؟ كيف يفكر اخي؟! انه يعرف اني دربت مارثا من اشهر لتقوم على خدمتي واني سعيدة جداً بعملها... هذا لا يعني اني لست سعيدة بقدومك... لكن...» وفجأة لمعت عيناها

ببريق المعرفة وقالت «فهمت، اختارك الى باميلا التي تعشق كل شيء غريب ومثير، ثم ادرك فجأة بأنك هدية غير مناسبة وبأن باميلا لا تعطي اي شيء يتطلب رعاية حتى ولا الكلب الصغير، فكيف الحال اذا اعطيت مجرد طفلة!؟».

هنا نطقت بري وقالت «لست مجرد طفلة! فقد اكون بعمر الخامسة عشرة ولا افهم قصدك بأنه اعطاني لك؟» لم تكن سلينا بالواقع تقصد تبادل اطراف الحديث فقالت «لا شيء، لا شيء، ولا تهمك تلك الامور الآن علي ان احدد مكان نومك حيث ان مارثا تشاركني غرفتي... اذن فساعطيك غرفة في الطابق العلوي، مع باقي الخدم... اما في لندن... فالمسألة مبكرة..» فقالت بري «يعني ماذا... طابق علوي» ولكنها سرعان ما سكتت خجلاً واكملت «ولكني سافعل كل ما يرضيك فقد امرني اللورد ان ارضي سيدات القصر».

«نعم... انا لي حديث خاص مع اللورد.. والآن اشغلي نفسك بتصليح فستاني ذلك ثم عليك كي تلك الملابس؟».

ذهبت سلينا الى امها لتتناقشان باللغز الجديد الذي حل باحلال الجارية وقالت لأمها ضمن ما قالت «وسمعت بري تتمتم عندما تركت الغرفة شيئاً مثل افضل البحارة... طبعاً... مستحيل».

تأمل اللورد الوضع في القصر بهذه المناسبة اي قبل عرس اخته بثلاثة ايام وقرر انه اشبه بجو كواليس مسارح

لندن التي تعج بالنساء، فهناك اربع وصيفات شرف ومع كل منهن والدتها وخادمتان... طبعاً... وابتسم برضى لأنه قد يحتضن باميلا قرابة نصف ساعة اثناء الرقص بحفلة اليوم التي اقيمت لتقديم العريس رسمياً الى الاهل والاقارب والشخصيات البارزة من الجيران، ثم تذكر بأن اخته التي عبرت عن شكرها باستلام هدية نادرة ولكنها اوضحت بما لا يقبل الشك بأن هذه الهدية سببت لها حرجاً كبيراً فهي لا ترغب ان تسيء الى وصيفتها مارثا لذا اتفقا ان تبقى الجارية مع سلينا لمدة ستة اشهر تتدرب خلالها على خدمة السيدات ثم تهدى للأخت الاصغر اليانور التي قاربت ستة عشر عاماً وستحتاج قريباً الى خادمة خاصة. ورغم رضى اللورد بهذا الحل وجد نفسه مجبراً على شراء هدية ترضية بالمقابل ويجب ان تفوق جمال عقد اللؤلؤ طبعاً، وهذا ما فعل وفرحت سلينا باستلام العقد لدرجة انها قبلته وقالت بأن من تتزوج اخيها ستكون اسعد انسانة بين البشر وعوضته تلك الجملة خسارته المادية الفادحة لأنه يتمنى فعلاً ان يكون اخاً مثالياً لأخواته.

حان الأوان للحفلة وذهب اللورد وهو بأفخر ملابسه الى غرفة ابن عمه جروم وكان هو الآخر بأفخر ملابسه فابتسم اللورد وقال «هل انت مستعد يا جروم؟ فأنا مستعد ولكني لن اذهب الى ذلك الحشد النسوي بلا سند من بني جنسي!».

كشر جروم واجاب «لقد جمعت والدتك حشداً نسوياً

كبيراً جداً وانا اتلهف للقائهن فلا اخشى منهن الا السيدات! بالمناسبة اين بري لم ارها منذ اهديتها الى سلينا؟».

«هكذا افضل فما حاجتك بها؟ يبدو ان بري اصبحت لا تطيقك واعتقد انها تتحاشاك».

وبعد ان تأكد جروم من حسن هندامه شبك ذراعه بذراع ابن عمه وسارا معاً فقال جروم «اني ابحث عن زوجة والزوجات كما تعرف لا يرضين ان يشاركهن احد بأزواجهن والخلاصة نصحني البعض ان اترك سيدات المجتمع جانباً، ثم ان بري الصغيرة سحرتني وانت تعلم بأني حريص على نقودي ورغم ذلك فيسعدني ان اشتريها منك مقابل ما دفعت واعدك انها ستعيش بأبهة».

«الى ان تملها... الا تدرك انها مجرد طفلة؟! فلم تبلغ الخامسة عشرة وعلى كل حال فهي ملك سلينا ولن تبيعها لك».

«حتى اذا كانت بري نفسها ترغب بذلك، فإني اعتقد بأني لو حطمت دفاعاتها لن ترفض العيش معي».

«حذار، فإن حاولت سا...» هنا قاطعهم صوت رنان، وقالت باميلا «مساء الخير يا سادتي، اياً منكما سيصحبني للعشاء؟» وسرعان ما تلاشت اهمية بري في اهتمام الرجلين واجاب اللورد اولاً وقال «آنسة كورتني، لكوني المضيف فإني اصر على هذا الشرف» كانت سلينا ترقب هذا المشهد الذي انتهى بابتسامة خلابة من باميلا التي

وضعت يدها على ذراع اللورد واقتادته الى داخل الصالة ولم يفت سلينا الابتسامة الخاطفة التي اغدقتها باميلا على جروم، فخاطبت خطيبها همساً «هل لاحظ تعبير الأنسة كورتني؟ . . . لو كان لجروم مورداً سنوياً يعادل ثلاثين الفاً بدلاً من ديونه الكبيرة لفضلته للزواج».

- ٧ -

انتهت الحفلة ورغم مشاغل بري الكثيرة جداً فقد استرقت اكثر من نصف ساعة لتراقب اللورد وقد شعرت بسعادة مشوهة وهي تراه يراقص الآنسة كورتني ويداعبها ويجلب الشراب لها ولم تكن بأحسن الحالات النفسية عندما دخلت غرفة سيدتها لتعدها قبل النوم بعد ان ودعت سيدتها آخر العربات.

باشرت بتسخين شراشف الفراش وفرش قميص النوم المطرز امام المدفأة وهيأت الرداء الخاص الذي تلبسه عندما تفرش شعرها لتتخلص من مساحيق الزينة اللماعة وتأكدت من نظافة الفرش نفسها واخيراً ذهبت لتنظيف وتهيىء الفستان الاخضر الذي تلبسه سلينا في البيت غداً

كما نشرت مجموعة مختارة من اشرطة ربط الشعر.

عندما سمعت باب الغرفة سارعت لسكب قدح الحليب الساخن الذي اعتادت ان تشربه سلينا قبل النوم ولكنها فوجئت بأن الداخل كان السيد موب... خطيب سلينا... وتقدم نحوها وبيده مروحة سلينا المصنوعة من ريش الطاووس، فابتسمت وقالت «سيدي! الآنسة سلينا ما زالت تودع الضيوف، هل من خدمة؟».

كان السيد موب رجلاً عاقلاً وقد اجتاز مرحلة الشباب الأولى رغم وسامته وكياسته اما الآن، ادركت بري بأنه مجرد ثمل لا يعي ما يعمل واحست بأنه يختنق في ملابسه الفخمة وان وجهه المحمر مضطرب، وسمعته يقول «ساعديني، هاك مارثا مروحة سيدتك فقد طلبت مني ان اسلمها لك... يجب ان لا يراها اللورد لإنكسار احدى الريش... فقد اهدى كافة السيدات مروحة من ريش الطاووس ولكن الوحيدة التي اتلفت هي مروحة المسكينة سلينا» فاجابت «اني متأكدة انها ستتصلح ولكني لست مارثا، انا بري واليوم دوري لأساعد الآنسة سلينا اثناء تغيير ثيابها».

ترنح بمكانه ثم مال الى الامام وامسك كتفيها لكي لا يقع وقال «اني... اني اح... احس... احسدك على هذا الواجب... وبعد ثلاثة ايام ساقوم انا بـ... بـ.. بخلع ملابس سيدتك!».

ضحكت بري ضحكة الطفولة وقالت «نعم... اعتقد»

ولكنه استمر كأن شيئاً لم يكن وقال «بعد ثلاثة ايام سأكون رجلاً متزوجاً» ثم انحنى على بري ووضعت وجهه امام وجهها وقد فاحت منه رائحة الخمر وابتسم بعد لحظة وقال «انك المملوكة... اي... وبعد الزواج ستكونين جاريتي انا ايضاً... اليـ... اليس كذلك؟» فاجابت «نعم سيدي» وادركت حقيقة الامر لأول مرة ولم تعجبها تلك الفكرة. واخذ يردد «جاريتي» وشعرت بتوتر رهيب وقالت مرة اخرى «نعم سيدي... الآنسة سلينا ستكون هنا قريباً، اعطني المروحة لأصلحها سيدي يجب ان تذهب الآن».

«يجب ان اذهب؟ الا تجدينني وس... وس.. وسيماً؟» وقبل ان تجيب هجم وضمها بذراعيه وقبلها بعنف فقاومته الا انه قهقه ضاحكاً ورمى نفسه ومعه بري على السرير. بعد ذلك ارتكب حماقة اذ ارتمى عليها جزئياً وهو يردد «عزيزتي سلينا» ويداه تحاولان اختراق فستانها وهي تحاول كل جهدها ان تدفع بيديه وتتحاشى انفاسه الكريهة وتدعو الله بالنجاة، في تلك اللحظة فتحت سلينا الباب ودخلت معها باميلا فجمدتا امام المنظر الذي يبدو وضيعاً وعلى فراش نومها!! فصاحت سلينا «آلهي! تفتون! ماذا تفعل؟!» اما باميلا فقالت «الذنب ذنب تلك الحقيرة الصغيرة! فهي تحاول ان تغري السيد موب لمجرد انه نشوان».

وسمع السيد موب الاصوات خلفه فجهد بالوقوف وترنح وصاح «آلهي، ساعدوني سأتقيأ» وسارع بخطى متموجة

الى المغسلة حيث استفرغ بصوت مزعج في الحوض الخزفي.

وجلست بري على حافة الفراش وقد سقط فستانها عن احد كتفيها وتهدلت موجات شعرها وقالت بصوت خائف «لم استطع ايقافه يا آنسة سلينا... فقد شرب كمية كبيرة من الخمرة!» وردت باميلا بنبرة حادة «حتى السكران يحتاج الى تشجيع لكي يغتصب عبدته على نفس فراش سيدتها». فاعترضت بري بشدة وقالت «لم يحتج السيد موب اي تشجيع» ثم استدارت الى الآنسة سلينا وقالت «آنسة سلينا! اعتقد بأننا بحاجة الى المساعدة» واشارت الى السيد موب وهو في مكانه فوق المغسلة وما زال يصيح من الألم. بهذه اللحظة دخل اللورد وقال.

«ما الامر سلينا؟ فأمي تقول... يا الهي ماذا يفعل موب؟» وقد جمد اللورد بالباب وعلى وجهه اقصى تعابير الدهشة. ثم انتظر الاستفسار من السيدات الثلاث. فأجابت باميلا «جاء ليعيد مروحة سلينا ووجد تلك الساقطة بانتظاره» ولأول مرة بحياته رمق اللورد باميلا بنظرة باردة وقال «ماذا تقصدين يا باميلا، هل تقصدين خادمة سلينا؟» ولكنها لم ترد بل تأبطت ذراعه وهمست بأذنه قائلة «اصبيت سلينا بصدمة قاسية يا كرسبن، دخلنا ووجدنا السيد موب والعبدة يتدحرجان على السرير وقد نزع نصف فستانها فلا تزيد من آلام اختك بأن تعلمها ان السيد تفتون هو الذي حاول مع الفتاة» فقال على العكس، هذا بالضبط ما سأفعله، فلم ار

الطفلة تعاقب بدون ذنب واني واثق تماماً بأن مخلوقاً بحجم بري لن يستطيع اجبار موب على التدحرج معها على السرير حتى لو ارادت ذلك».

«لا؟».

«لا يا باميلا، رغم انك تريدين حماية اختي فلن اسمح بذلك فلا يتهم الخادم عندما يكون الذنب ذنب سيده، والاجدر بك ان تذهبي الى غرفتك فليس من شيء تعملينه هنا».

اثناء هذه المحادثة كانت سلينا وبري تحاولان مساعدة السيد موب فور انتهاء حاجته من المغسلة فاقتادته سلينا برفق الى احد المقاعد قرب الموقد وبعد ان غطس في المقعد باشرت بغسل وجهه بمنشفة قطنية مغموسة بماء معطر من اناء حملته بري وهي تردد كلمات مواساة طيلة الوقت. اخيراً تمالك زمام نفسه نوعاً ما وقال اللورد «الافضل ان يذهب الى فراشه، تفتون! هل تستطيع السير؟».

فأجاب بلهجة فزعة «السير؟ سأحاول».

«جيد، بري امسكي ذراعه وانا سأمسك الاخرى وسنوصله الى غرفته، سلينا انت اطلبي الخادمات لتنظف هنا، وسأرسل بري لمساعدتها فور ايصاله الى غرفته وسأعود بنفسي بعد ان ادخله فراشه، لا تنامي انتظريني رجاءً».

«حسناً، فلا تتأخر».

عادت بري بعد خمس دقائق وقالت فور دخولها الغرفة «آنسة سلينا لم تكن غلطتي، فكان يعتقد بأني انت وظل يردد اسمك وانا آسفة لما حدث». اجابت سلينا بتأمل.

«انا ايضاً آسفة لما حدث... ، وهو ايضاً سيكون آسفاً لما حدث ان لم يكن آسفاً منذ الآن. لا عليك ولا تقلقي فأنا متأكدة انها ليست غلطتك... هل لدينا الوقت لأغير ملابسي قبل عودة اخي؟».

ضحكت ضحكة طيبة وقالت «اعتقد ذلك، فقد تركتهم وكان اللورد ومعه خادم السيد موب يمسكان بالسيد موب امام مغسلة اخرى. وقال اللورد انه سيبقى ليساعد الخادم بإدخال سيده في الفراش بعد ان يتوقف عن القيود».

«يا للمسكين... حسناً فسأغير ملابسي».

- ٨ -

عملت بري بسرعة وابدلت ملابس سيدتها وفرشت شعرها بخفة لتوقع المساحيق منه وغسلت وجهها وبنفس الوقت كانت احدى الخادمات قد ازالت الأثار الى تركها تفتون وجلبت مغسلة خزفية جديدة وعندما طرق اللورد الباب ودخل قال بعد ان تفحص اخته والغرفة.

«جيد كل شيء مرتب، هيا بري اذهبي اريد ان اتحادث اختي قبل ان تنام».

خرجت بري من الباب الاوسط وبعد ان اغلقته جلست على ركبتيها ووضعت اذنها على فتحة المفتاح لتسمع حديثهما وكان اللورد يقول «الذنب ذنبه هو يا سلينا واني اعلم ان باميلا حاولت ان ترضي مشاعرك ولكن تفتون

اعترف لي تواً فقد افرط بالشرب وهو الآن نادم جداً».

«لا اشك بذلك ولكن ماذا افعل؟ لا اريد ان اقسو ولكن ليس بمقدوري الآن ان اصطحب بري معي الى لندن فلن اخلد بلحظة سلام بعد ما حدث».

بعد ان يتم الزواج لن يحتاج لمطاردة جارية... كانت مجرد دوافع غريزية... فالزواج قريب جداً و...» قاطعته وقالت.

«لا، لن آخذها معي الى لندن، لم تشترها لي اساساً واشتريتها الى... لمجرد دافع آناني... فلن آخذها معي الى لندن واناأعرف ان تفتون سيراها طيلة الوقت وقد يشتهيها... انت نفسك قلت بأنها مغرية ولا اريد ان تغري زوجي».

«لا بأس، يمكن ان تبقى هنا وبإمكان والدتي ان تدربها لخدمة اليانور ولا اريد ان اعطيك ما يزعجك!» وتغيرت نبرته الى نبرة حنون جداً وقال «حبيبتي... لا تبكي... اقسم لك بأنه لم يقصد شيئاً فقد افرط بالشرب واصبح كالاطفال... لا تقلقي بخصوص بري ساعتني بها بمساعدة ماما».

سمعت بري صوت سيدتها وهي تتكلم والدموع في عينيها وتقول «اني احبه واعلم بأنه يناسبني تماماً وان لندن بكاملها تحسدني وانا لا افكر بأمواله وممتلكاته او اي شيء آخر بالرغم من انه ليس بجمالك ولا بجمال جروم حتى ولا بشبابكما ولكني احبه ولا احتمل حتى مجرد التفكير بأنه

لا يحبني».

«انه يحبك... جففي دموعك ونامي... غداً سترين الامور بوضعها الطبيعي ولا يسيئني ان باميلا شهدت الاحداث... هل ستنشر الخبر؟».

«لن تقول شيئاً اذا طلبت منها انت ذلك.. فهي بانتظار خطبتك».

«هل ستقبل؟! على كل حال لن اتقدم قبل انتهاء عرسك انت».

«هل انت متأكد بأنك تريد الزواج منها؟ اعرف انها غنية وجميلة ولكن...».

«طبعاً اريد ان اتزوجها اعلنت ذلك منذ اثني عشر شهراً فهي اجمل فتاة في انكلترا والطفهن وهي تدرك ان واجبي الاول هو تجاه عائلتي».

«طبعاً... طبعاً... اذن تصبح على خير يا اخي».

«تصبحين على خير يا سلينا».

سمعت بري وقع اقدام اللورد فسارعت ونامت فوراً على مسطبتها واسترجعت الحديث في مخيلتها. اذن سيتزوج تلك الكريهة كورتني! وهي نفسها ستبقى هنا بدلاً من مرافقة سلينا... على كل حال ستكون مع اللورد هذه نعمة كافية تقلل من فظاعة زواجه من كورتني.

حاربت النوم لفترة قصيرة اخرى حللت خلالها الاحداث وما سمعته فهي نفسها ستبقى وتتدرب على يد السيدة اوتيل ثم ستكون ملكاً للآنسة اليانور ولا بأس بذلك فاليانور نشطة

وشابة ولطيفة المعشر وعلى كل حال اهم الاخبار ان اللورد لم يخطب الآنسة كورتني بعد واذا نفذت بري خطتها فلن يحدث ذلك قط. فما شعور الآنسة كورتني بخصوص الصراصر؟ فرضاً، فماذا لو هجمت عليها آلاف الصراصر وهي في غرفتها؟ او افضل من ذلك هجوم من الفئران؟ او الحيات السامة؟ ولكن هل هنالك مثل هذه الحيوانات في انكلترا... فقد شاهدت كثيراً من الصراصر الكبيرة الحجم في المطبخ والجرذان في الابنية المجاورة.

لم تتخلى عن فكرة السم وسبق ان حاولت التعرف من الخدم عن مصادر السم ولكن ذلك صعب وتحدث البعض عن العجائز اللواتي يشفين من بعض الامراض ولكنهن يخفن ان يتهمن بالسحر ومن تتهم بالسحر يحظها تعس. لذا يجب ان تقوم هي بنفسها بكل الاعمال وعليها ان تجد الوسيلة الملائمة لإيقاف خطبة وزواج اللورد من كورتني.

انتهت مراسيم الزواج بنجاح تام وكانت سلينا تسير بمنتهى السعادة بثيابها البيضاء الفاخرة وشعرها الاصفر اللماع وعينيها الزرقاوين ووجنتيها الحمراوين وبيدها باقة من ازوع الورود وقد تمسكت بذراع زوجها طيلة الوقت في حين كانت عيناه لا تفارقان عينيها وهو يسير بفخر واعتزاز ظاهرين بعروسه الجميلة لدرجة ان حسدهم كثير من الحاضرين.

بعد افطار العروسين اخذ العريس عروسته وانطلق بها

بعربته وتبعتهما عربة اخرى تحمل مارثا والامتعة في حين وقف بتوديعهم كل من اليانور والسيدة اونيل وهما يبكيان من السعادة الممزوجة بالاضطراب وقد احتضنهما اللورد وابن عمه لمواساتهما.

فقال جروم اخيراً «سيدتي... يجب ان لا تبكي بل تفرحي لسعادة ابنتك فمن الصعب جداً ان تجدي رجلاً افضل من موب وعلى كل حال فإن سلينا نفسها سعيدة جداً» اما ما قاله لابن عمه فيختلف قليلاً اذ قال «يعلم الله اني اكره ان احبس لمدة ستة اشهر كل سنة ولكن سلينا ستتحمل عناءذلك بسعادة لمجرد وجود تفتون معها».

«والآن ما هي خططك!؟ طبعاً ستقيم احتفالات ومآدب راقصة طيلة هذا اليوم وحفلات للخدم واهل القرى على ما اعتقد ولكن انت نفسك كم ستبقى قبل ان تذهب الى لندن؟».

«حوالي اسبوعين اما انت فانك حر بأن تذهب متى شئت».

فابتسم بدهاء واضح وقال «اذهب متى شئت؟! يا ابن عمي العزيز لن يزحزحني من هنا ما دامت الآنسة كورتني الرائعة هنا».

«بهذه الحالة يجب ان تعلم ان والدتي تقوم الآن بمهمة مرافقة باميلا وستبقى هنا لمدة اسبوعين كاملين قبل الذهاب الى لندن».

فأجاب جروم بصدق واخلاص «اذن سأبقى انا ايضاً،

www.rewity.com
وردة دمشق
مكتبات روايتي

سأبقى انا ايضاً».

خيب هذا الجواب آمال اللورد بالتخلص من ابن عمه ولكنه ابتسم. في ذات الوقت كانت بري في حالة ضياع نفسي جديد فقد انتقلت الى غرفة السيدة اونيل كما فقدت زميلتها مارثا وعليها ان ترضي سيدة كبيرة قاربت خمساً واربعين سنة!.

ولكن هذه السيدة ذات المنطق الصحيح والتي تفيض بحنان الامومة سرعان ما ادخلت الطمأنينة الى قلب بري وفازت بحبها وقد كانت بري تنصت بصبر وهي تتلقى قائمة الواجبات الجديدة وشعرت بعناية ولطف عندما سمعتها تقول ما معناه انها امرت السيدة مورفيلد خادمتها الاصلية بإرشاد بري ومساعدتها عند الحاجة. اخيراً قالت.

- ٩ -

«يمكنك ان تساعدي مورفيلد بواجباتها وبهذه الطريقة ستتعلمين اشياء كثيرة كما اعتقد بأنكما انت وابنتي اليانور ستستفيدان كثيراً ان زرت غرفتها صباح ومساء كل يوم لمساعدتها في تغيير ملابسها، بهذه الحالة اذا قرر السيد اللوردد ان يبقيك مع اليانور عند سفرنا الى لندن بعد اسبوعين ستكونين ذات اهمية ومنفعة لها».

انحنت بري بتحية ولكنها قالت «يبقيني هنا؟ لا كنت متأكدة بأني سأذهب الى لندن!».

ابتسمت السيدة اونيل بحنان الأم ولكنها لم تجب فخرجت بري وتوجهت فوراً الى غرفة اللورد ودخلتها بعد ان طرقت الباب طرقة خفيفة جداً وسألت فوراً «سيدي!

لماذا لا تسمح لي بالذهاب معك الى لندن؟».

اما اللورد الذي كان يتأمل بهدوء امام الشباك غرفة نومه. وهو مستلقٍ على اريكة مريحة وبيده سيجار صغير فقد جفل لسماع صوتها وصاح.

«بري! ماذا تعنين باقتحام غرفتي هكذا؟ يجب ان لا تدخلي غرفة نومي قط!».

لم تأبه بري بنبرته القاسية بل سحبت انفاسها كطفل يقاوم البكاء وتقدمت الى ان اتكأت على مسند كرسيه وحنت رأسها لتنظر مباشرة في عينيه وسألت بهدوء «كيف اذن يمكنني ان اكلمك؟! فأنا لا اراك قط واتمنى ان اذهب الى لندن عندما تذهب انت!».

استمتع بجوابها ورق لصغر سنها فنهض وتطلع الى وجهها المتسائل وقال.

«لك ما شئت ما دام الموضوع يهمك جداً... ولدي فكرة ايضاً، يقام الآن مهرجان شعبي في مدينة لفربول وانت بالطبع لم يسبق لك ان رأيت مهرجاناً، فاذا وجدت الوقت الكافي سأنظم سفرة لكافة الخدم بإحدى عربات المزرعة وانا متأكد بانك ستستمتعين بذلك كثيراً».

تضاربت في مخيلته المشاعر والافكار فبوده لو يستمتع بالنظر الى فرحة وبهجة وسعادة بري بما سترى. بنفس الوقت فكر باصطحاب باميلا الى المهرجان وبانها ستتمتع بمشاهدة العروض الجانبية والتمثيليات الهزلية وتخيل نفسه وهو يطوف بها امام العجائب وينظر الى عينيها الزرقاوين

المبهورتين امام الدب الراقص وامام اسمن امرأة في انكلترا وامام ملتهم النار والجمر، خاصة وان تربية باميلا محافظة جداً فلا شك بانه لم يسمح لها بزيارة مكان شعبي كالمهرجان.

«ما هو المهرجان الشعبي؟» سألت بري من الشك واكملت «لا يهم، هل تقصد اني مسموح لي بالذهاب الى لندن؟ آه انك طيب جداً معي».

وقبل ان يجيب او يعترض قفزت بالهواء وطوقت رقبته بذراعيها وقبلت حنكه وسرعان ما تركته وذهبت الى الباب، فناداها وقال.

«انتظري لحظة!» ولكنها لم تسمع بل استدارت ورمقته بابتسامة سعادة غامرة واختفت باتجاه جناح والدته.

تركته وهو يتلمس حنكه حيث طبعت القبلة وما زال يشعر بمكان جسمها الطري على جسمه ويدفء ذراعيها حول رقبته.

بعد مناورات عديدة تمكن اللورد من الانفراد بالآنسة باميلا بعد عشاء تلك الليلة وسارا مرة اخرى بنفس الحديقة ولكن هذه المرة كان اللورد يدقق النظر في الظلمات خشية من التجربة السابقة. اخيراً قال بعد ان جلسا على المسطبة.

«هناك مهرجان شعبي في المدينة ولا اعتقد بأنك زرت مهرجاناً من قبل؟».

وبعد ان هزت رأسها بالنفي اكمل «اتمنى ان اصحبك

هناك مساء الغد وبإمكانك ارتداء قناع وعباءة فالمهرجان ممتع جداً وبه فعاليات كثيرة ومختلفة وهناك عرض العاب نارية في منتصف الليل وحفلات رقص. . . فما رأيك؟».

«مساء الغد؟ لا اعتقد يا كرسبن». ومع هذا الجواب امسكت انفها الصغير بشيء من عدم استحسان الدعوة واكملت «سيكون هناك حشد كبير من العوام والخدم» فأجاب.

«ولكنك ستكونين مقنعة، ارجوك وافقي يا باميلا».

«سأفكر بالموضوع» ثم دار الحديث بينهما عن احداث الزفاف ولندن قبل ان يعودا الى الدار.

سرعان ما انتشر خبر المهرجان بين خدم القصر وتشوقوا للذهاب ولكن رغم وعد اللورد فقد نسي تماماً ان يرتب لهم الزيارة وتقدم البرت من بري وعرض عليها ان يصطحبها هو الى المهرجان لكنها ادركت بأنه معجب بها وقد تؤدي دعوته الى مواقف محرجة لذا اعتذرت ولكنها كانت متشوقة للذهاب ضمن المجموعة خاصة الخادمتين بولي وسو ولكن العربة لم تحضر بل جاء خادم اللورد وطلب من بري ان تقابل اللورد في مكتبه.

«نعم سيدي» قالت بوجه متلهف.

«بري اريدك ان تذهبي بسرعة الى دار السيدة بيرشور واطلبي منها ان تعد لك دواء من الليمون الحار لعلاج الصداع كما كانت تعده لأختي سلينا، فالآنسة كورتني مصابة بصداع حاد وقد يفيدها الدواء».

«طبعاً».

عادت مع الدواء وساورتها افكار عديدة وهي في طريق العودة منها ان تسكب الدواء ان تستبدله بشيء كريه ولكنها عدلت عن هذه الافكار لأنها تدل مباشرة على الجاني.

اما الآن وهي تسلم الدواء الى اللورد اثنى عليها وقال «انت فتاة جيدة وعليك ان تسارعي الآن وتسلمي الدواء للآنسة كورتني فقد وعدت ان اصحبها الى المهرجان وما زال هناك وقت كاف اذا فارقها الصداع».

شهقت بري لسماع اسم المهرجان وقالت «المهرجان؟! آه كم اتوق الى الذهاب».

تذكر اللورد وعده وقال «سارتب زيارة الخدم للغد اما الآن فسارعي بالدواء».

ركضت بري فعلاً فهي لا تقبل ان يتزعج اللورد ابداً ولكنها فوجئت عندما وصلت الى غرفة الآنسة باميلا ان اللورد امرها بتسليم الدواء بيد الآنسة كورتني مع شرح التعليمات الا انها وجدت خادمة الآنسة كورتني بباب الغرفة ومنعتها هذه الخادمة الفظة حتى من مجرد النظر الى الداخل وكانت الغرفة مظلمة. قالت الخادمة بجفاء «نعم؟» فأجابت بري تلقائياً.

«ارسل السيد اللورد دواء للآنسة كورتني وهو من صنع مربيته».

وسلمتها القنينة واسترسلت فقالت «اذا سمحت ان ارى الآنسة كورتني لأشرح لها الجرع واسلوب العلاج» ولكنها

كانت تكلم باباً موصداً.

عادت الى اللورد وهي تجر خطاها وحاولت بصعوبة ان توضح للورد انها منعت من التكلم الى الآنسة كورتني فقال اللورد «آه من جابمان تلك الخادمة المرة! لا عليك سأذهب بنفسي». ولكن هيهات فالخادمة الرهيبة جابمان منعت سيادته من الدخول واجابت بكل جفاء «الآنسة كورتني متوعكة، سأشرف بنفسي على اعطائها الدواء ولكنها لن تخرج هذا المساء كمانها لن تقابل احداً».

- ١٠ -

عاد اللورد الى مكتبه حيث ترك بري وهو يفكر بصوت عال ويقول بأنه لا يعتقد بأن الآنسة كورتني مريضة بل مجرد ادعاء لتفادي الاختلاط بالحشود من العوام والخدم خاصة وكانت تبدو زاهية ويأحسن حال اثناء العشاء، كما كانت طيلة الفترة تضحك مع جروم وتتبادل الفكاهات بخصوص عادة التدخين فقد قالت ان استنشاق النشوق اكثر اناقة.

فجأة نظر نظرة شيطانية وقال لبري «اتعلمين ما سأفعل يا ايتها الطفلة؟ سأذهب وآخذك انت معي. فما رأيك؟؟ ستستمتعين بوقتك!».

وسرعان ما وجدت بري نفسها ملفوفة بشال غامق وعلى رأسها شريط لحصر خصلات شعرها الكثيف وهي على

متن عربة اللورد منطلقين الى المهرجان وكان اللورد نفسه يقود الجياد وهي جالسة بجانبه في حين سمكنز الحوذي كان جالساً بالداخل.

لم تر بري سوى منطقة محدودة من الريف اثناء رحلتها الأولى بالعربة بين بيت المربية والقصر، اما الآن وهي قرب السائق ادركت ان الشارع يوازي انحناءات الشاطىء ولم يفصل بينهم وبين البحر غير الرمال وعشب البحر فقالت.

«آه... البحر... عندما كنت مع والدي كنا نعيش قرب الشاطىء، ما احلى اللعب على الشاطىء وبالرمال البيضاء ومياه البحر دافئة وزرقاء، ليتني استطيع السير على الساحل يوماً ما».

رفع اللورد صوته ليتغلب على صوت العربة والريح وقال «ماذا؟ الساحل؟ نعم السير على الساحل جميل ولكن انتظري المهرجان اولاً ولا تخافي فأنا سائق ممتاز».

بنفس هذه اللحظة استدار بشكل لبق ولكن احدى عجلات العربة زحفت قليلاً مما جعله يحكم عقله ويقلل من السرعة اما بري فقالت «آه يا لها من روعة... سيدي اسرع!».

ضحك ونظر الى النشاط والحيوية بوجهها الصغير الملتصق بكتفه وقال «اهذا ما تريدين فعلاً؟ ولكني لا اجرؤ ان اسرع هنا بسبب الرمال فهي تجعل الاستدارات خطرة جداً، يوماً ما سآخذك الى شارع لندن، يرايتن وهناك اريك معنى السرعة».

تنهدت وزادت من التصاقها وادرك فجأة انه وعد عبدة مملوكة بأنه سيصحبها برحلة طولها ثلاثين ميلاً في اشهر شوارع انكلترا بعربة مكشوفة وتذكر باميلا فهي طبعاً يجب ان تتظاهر بالصداع لأنها لا تحتمل وسائل التسلية عند العوام.

شعرت بري بأن العربة وصلت للمهرجان بسرعة فائقة وقد سحب اللورد اللجام واوقف العربة وسارع الحوذي الى الخيل وامسك برأسها اما اللورد فقفز بخفة ورفع ذراعيه لبري.

قفزت دون تردد واحتضن جسمها الطري لبضع ثوان احس خلالها بدقات قلبها على صدره ثم انزلها برفق.

سلم اللجام الى السائق وقال «هاك يا سمكنز، عليك ان تريح الخيل في اسطبل السيد ويتزهيف فبعد ان نزور المهرجان سنتعشى في المقهى وسنرسل بطلبك من هناك» ادى سمكنز التحية وانصرف، اما اللورد فنظر الى رفيقته الصغيرة وابتسم وقال.

«الآن، ايتها الشابة الى المهرجان».

انقضت الساعتان التاليتان بسعادة غامرة لكليهما فأول ما شاهداه كانت اسمن امرأة في انكلترا وقد رقصت مع ارفع رجل شاهداه بحياتهما. ثم حاولا حظهما باللعب وفاز اللورد بباقة من الاشرطة الملونة فبادر فوراً بربط الشريط الوردي بشعر بري، ثم دخلا الى احد المسارح المكتظة حيث شاهدا تمثيلية مثيرة تكونت بالدرجة الأولى من مشاهد

عراك عنيف وطعن بالسيوف وسكب كمية كبيرة من الدم الاحمر على ارضية الخشبة وباحدى المناسبات تجاوز الدم المسرح وتطاير الى الصف الاول من الحضور بحيث صرخت بري وتراجعت بسرعة مما ادى الى ارتطام رأسها برأس اللورد فانفجر بضحك شديد متواصل.

عند المغادرة وضع اللورد يده حول خصر بري ليتمكن من حمايتها من الازدحام اما هي فوجدت تلك الحركة طبيعية جداً لتقترب اكثر ما يمكن من معبودها.

زيارتهما التالية كانت لمنصة آكل النار وقد فتحت عينيها على سعتهما عندما باشر بالتهام وجبة من الجمر الاحمر والفحم الملتهب والقير المغلي مع تشكيلة واسعة من الاشياء الغريبة. ثم اعلن مقدم الفعاليات بأن السيد باول قادر على مسك كمية من الجمر بفمه وعلى لسانه تكفي الى شواء شريحة لحم البقر شرط ان يجمع له مبلغ مجز من التبرعات، وهم اللورد بمغادرة المكان ولكن بري كانت متهيجة جداً وتمسكت بذراعه وقفزت وتوسلت اليه وناشدت كرمه وشهامته بحيث بادر فوراً بالقاء نصف جنيه في صحن التبرعات.

هذا الكرم دفع السيد باول الى شواء الشريحة لدرجة ارضت كافة المفرجين واستمر بعدها فأذاب كمية من شمع العسل مع خليط من الكبريت وحجر الشب والرصاص فوق صحن من الجمر الحي وبعد ان سحر الجمهور رعب هذا المنظر بادر بالتهام تلك التشكيلة القاتلة بكل ادب وبشكل

حضاري باستخدام الملعقة وهو يقول «حسائي الحار اللذيذ».

غادر اللورد وبري المكان بحثاً عن الخنزير المثقف وهما متشابكان وصادفا في طريقهما بائع الخبز المذهب كما لاقيا فتى يبيع كسار الفك وهي قطع حلوى كبيرة صلبة جداً ولزجة جداً وبالطبع لا يمكن للورد من تجاوز اي شيء دون ان يشتري لبري كل ما يصادفها.

اما الآن وكان فم بري منفوخاً بلقمة كبيرة من كسار الفك ويدها متمسكة بقطعة لزجة من الخبز المذهب بدت بغاية الجمال والسعادة بحيث نسي اللورد انه يصحب جارية مملوكة وانتابه شعور غامر بالفخر برفيقته بري.

صاحت «الدب الراقص! ارجوك دعنا نراه» وبدون اي تردد شق اللورد طريقه بين الحشد الى ان وصل الى الصف الاول واصبحا امام الدب المكمم يرقص بخطى ثقيلة ويدور مع ايقاع الموسيقى ولحن الناي. وكانت عيناها تلمعان بالرضى والسعادة حين قالت «ليتني اعطي الدب قليلاً من الخبز المذهب». ولكن اللورد نظر الى مخالبه الخطرة ولم يشجعها. فجأة امسكت ذراعه بشده وقالت «سيدي، ذلك ابن عمك جروم... عفواً السيد ماركورت... ها هو هناك مع سيدة!».

«ماذا؟ صحيح رغم انه ادعى بأنه سيزور احدى عماته بمدينة ويفرتري، وهل قلت انه مع سيدة؟ يا له من سريع العمل الا اني لم ارها».

وكان ابن عمه ومن معه قد اختفيا بين الحشد. والآن تذكر اللورد بري بأنهما لم يعثرا بعد على الخيمة التي تبيع المشروبات والبيرة وحتى الاطعمة فرغم استمتاعه الاكيد بالمهرجان ومضاعفة تلك المتع بسبب براءة بري وابتهاجها لكل ما صادفها فقد شعر بالعطش الشديد.

شقا طريقهما خلال الحشد المرح وبلغا خيمة المرطبات فاشترى اللورد عصيراً منعشاً لبري واشترى لنفسه قدحاً كبيراً من البيرة وكانا في قمة السعادة وهما يتناولان مشروبهما وفجأة لكزت بري اللورد وصاحت:

«انظر ها هو ابن عمك وصاحبته». فنظر اللورد حيث اشارت ورأى ابن عمه مع احدى السيدات فقال:

- ١١ -

«هذا صحيح وانا أرى ابن عمي لا يضيع وقته سدى ابداً غير ان هذه السيدة تبدو طويلة جداً ونحيفة وانا احب السيدة ان تكون مثلك ناعمة متناسقة الجسم كما هو جميل جسمك يا بري ورجع ينظر الى صاحبة ابن عمه ثم بدأ يمعن النظر اليها وفجأة هب واقفاً على قدميه وسحب بري بشدة من يدها وهو يسب ويلعن وبدأ يشق طريقه بين الحشود نحو ابن عمه ساحباً بري وراءه وهي تصرخ:

«ماذا حصل يا سيدي؟ ما الذي جرى لك؟».

كانت بالواقع تدري سبب اضطرابه حيث عرفت منذ اللحظة الاولى صاحبة الشعر الذهبي التي ترافق جروم بالرغم من القناع والعباءة التي كانت تتستر بها فقد عرفت باميلا ولكنها كانت في قمة السعادة وكانت تتمتع بوقتها كله

فلم ترغب بأن تنهي الفرحة بمأساة.

«انها باميلا يا بري يا لها من لعبة كاذبة المفروض أن تكون الآن طريحة فراشها بسبب الصداع... اما جروم فسأمزقه إرباً إرباً». أجابته بري:

«لا يمكن ان نلحق بهم فقد خرجوا من الخيمة والازدحام شديد جداً» وكان صوتها مليء بالتعاسة فأجابها اللورد:

«سنبذل أقصى جهدنا بالرغم من هذا الازدحام» ولكن بعد فترة قصيرة اعترف اللورد بان بري كانت على حق ففي مثل هذا الازدحام من المستحيل تتبع اي شخص ولا يمكن العثور إلا بمحض الصدفة. صاح اللورد:

«وفوق هذا كله فان جروم هو ابن عمي لعنة الله على عينيه». ثم توقف واخذ يفرك جبينه ونظر الى بري فرأى انها كانت في منتهى التعب والارهاق فرق قلبه لمنظرها وضحك قائلاً:

«يا لي من ابله يستحيل أن تكون باميلا فهي من الاستقامة بحيث لا يمكن ان تخدعني بمثل هذه الدنائة، تعالي يا صغيرتي نبحث عن الخنزير الصغير».

بعد ان وجدوه وتفرجوا عليه كيف كان يحسب بيديه ويهز رأسه ليجيب بالنفي احسوا بعد مشاهدة تلك العبقرية بانهم في حاجة لبعض المرح من جديد لهذا قصدوا الدمى المتحركة ثم ذهبوا لشراء الصوصج المشوي على اعواد خشبية مع البطاطس المشوية بقشورها بنار الفحم. استمر

اللورد باحتضان بري بقوة عندما وصلا الى مرحلة الالعاب النارية، كانت بري تشهق من الاعجاب والفرحة وهي مبهورة بتلك الالعاب العجيبة ثم اخذها اللورد اخيراً الى الاسطبل وبأشعة الضوء المتسرب من شبابيك الخان نظر اللورد الى وجه بري التي كانت تنظر الى وجهه بمنتهى الاعجاب وقال:

«ما هذا ان وجهك يبدو اشبه بوجه غجرية صغيرة، انتظري لأقوم بترتيبه قليلاً فلا يمكن أن تدخلي المطعم وانت بهذا الشكل.»

اخرج منديله من جيبه وقام بمسح آثار الحلويات والبطاطس المشوية بالفحم التي كانت تزين مساحة كبيرة حول فمها بعد أن بلل طرف المنديل بلسانه ثم سحب مشطاً صغيراً واجراه خلال خصلات شعرها المتطاير بدون شفقة وبسرعة ثم ابعدها قليلاً ليفحص نتيجة مجهوده معها فشعر بالرضى وقال:

«الآن احسن بكثير» ثم توقف لسانه عن الحركه وبدأ تفكيره بعمل هذا الوجه الصغير الذي يبدو على هيئة القلب وهذه العيون المتسعة وهي ترنو اليه بإكبار وهذا الفم الصغير والشفتان الساحرتان وهما ترتجفان رضى لما تنتظره من سماع كلمات الاطراء التي سيقولها. يا الله كم هي جميله. واستمر ينظر الى وجهها الجميل الساحر، ثم شعر بقلبه يتحرك وشعر برغبه جارفه لضمها بذراعيه وتقبيل ذلك الفم الشهي، شعر برغبته في ان يدنو منها وفي هذة اللحظة

بالذات شعر بيد تمسك كتفه.

«اهلاً كريسن ماذا تعمل هنا مع بري؟ كنت اظن حسب اقوالك انها ليست سوى طفلة» فاستدار ليرى جروم ذا النظرة الحقيرة والابتسامة البذيئة التي ارتسمت على وجهيهما جعله يعود الى الواقع فأنزل يديه التي كانت تحيطان ببري وقال بصوت قاس:

«جروم، من السيدة التي كانت معك؟» أجاب جروم:

«كانت؟ انها لا تزال معي غير انها دخلت الآن الى الخان لترتب نفسها، اسمها لوسي وهي تشتغل ساقية في مكان اسمه مشرب الفاتنات. لماذا هل تعرفها؟ وبالمناسبة انها تبدو خبيرة لذا اشك بأني سأعود هذه الليلة الى القصر مبكراً»

اختفى بعض التوتر من وجه اللورد وسأل: «إذن انها ساقية في مشرب! ما هو شكلها؟»

الا أن جروم لم يجب عن سؤاله بل تطلع الى وجه بري وشعر بالراحة للجواب الذي قرأه بوجهها فقال:

«ماذا؟ تريد أن تعرف شكلها على كل انها ليست بجمال بري لها شعر اشقر وعيوناً زرقاء ووجهاً جميلاً. لماذا هل تريد أن تجرب حظك معها ليس لدي أي مانع في أن أقوم بتبديلها معك ببري». التصقت بري باللورد بحركة غريزية لتحتمي به فأجاب اللورد قائلاً:

«لا.. لا.. لا أريد ذلك ابداً. ليلة سعيدة. سأقوم بأخذ بري للعشاء ثم الى البيت». قال جروم:

«الليل في اوله وبمقدورنا أن نمضي وقتاً سعيداً بصحبة هاتين الفاتنتين». إلا أن اللورد قاطعه قائلاً:

«تصبح على خير يا جروم» ثم سحب بري من يدها ودخل إلى المطعم تاركاً جروم وحده وقال:

«تعالي اشربي بعض الشكولاتة الساخنة، انها ستعجبك حتماً».

استمرت بري بالثرثرة وهي في قمة السعادة إذ لم تدرك أن اللورد كاد أن ينسى مكانته منها وشربت الشكولاتة الساخنة والتهمت اللفات بشراهة. ورغم سعادتها لاحظت بأنه أهدأ من المعتاد وأنه يرمقها بنظرات طويلة غريبة وعميقة لكنها عزت احزان تلك النظرات الى تأنيب الضمير لسوء الظن بباميلا إضافة إلى الإرهاق.

دفع اللورد الحساب وساعد بري بالصعود إلى العربة فقالت:

«هذه اسعد امسية بحياتي كلها». فأجاب اللورد بعد أن جلس بجانبها وعصر اكتافها برفق وحنان:

«نعم كانت أمسية عظيمة ولحسن الحظ فالجو جيد. فلا انوي قيادة العربة بسرعة».

بالفعل قاد العربة ببطء بحيث لم تقاوم بري سوى دقائق معدودات قبل ان توسدت كتفه واستغرقت بنوم عميق جداً ولم تتحرك قط حتى وصلا القصر حيث ايقظها اللورد وحملها برفق ليوقفها بجانبه، ترنحت وقفتها على العتبة وقالت بصوت حالم:

«امسية جميلة.. جميلة جداً.. شكراً يا سيدي اللورد».

وضع ذراعه حولها وقادها إلى القصر الهادىء وساعدها بصعود السلم وفي الطابق العلوي سألها: «بأي غرفة تنامين؟ بعد أن سافرت سلينا؟ هل تنامين في جناح السيدة اونيل؟».

«كلا فأنا انام في غرفة صغيرة جداً على السطح».

في تلك اللحظة سمع صوت احد الابواب يفتح وخرجت خادمة الآنسة باميلا وبيدها بقية الدواء الذي سلمه لها بنفسه لعلاج صداع باميلا فشعر بالسعادة لأن باميلا تناولت الدواء وهذا يعبر عن ثقتها به حتى في حالة المرض.

- ١٢ -

لم يتحرك اللورد الى أن اختفت الخادمة دون ان تراهما ثم هز بري بلطف وقال: «استيقظي يا صغيرة، هيا اصعدي ونامي جيداً». ودفعها بلطف الى السلم الاخير وراقبها وهي تصعد بخطى مترنحة بسبب النعاس ومن إعلى السلم وقفت ورمقته بنظرة صغيرة مع ابتسامة تعبة قبل أن تدخل أول باب الى اليمين.

عاد اللورد الى غرفته وأرعبته افكاره إذ انتبه بأنه ركزها على الغرفة الاولى إلى اليمين. ولكنه سيطر على أفكاره وصرف خادمه بعد أن نزع معطفه وتابع خلع ملابسه بنفسه وتمتم قائلاً لنفسه:

«انا لا انوي أن أستغل هذة الطفلة بأي شكل كان»

www.rewity.com
وردة دمشق
٨٨ منتديات روايتي

وسارع للاحتماء بدفء سريره واقنع نفسه بأن تلك الامسية كانت مجرد فصل جميل جداً ممزوج بلمسة من شيطنة الصبي البريئة لمجرد انه رافق جاريته إلى المهرجان وساق عربته وهي نائمة على كتفه رغم أنه كان على وشك التقدم لخطبة زهرة المجتمع كله!.

استدار في فراشه وحسم الموضوع كله بأن «الامسية كانت رائعة».

في الوقت نفسه كانت بري في غرفتها الباردة تفك أزرار واشرطة محزمها وملابسها وقد استعادت نشاطها الذهني تماماً وقالت لنفسها: «ليس لدي أي شك بأن مرافقة جروم الأولى هي الأنسة كورتني فالشعر نفسه طبعاً ولكن الأهم من ذلك هو الفم الصغير بابتسامة الازدراء الدائم التي تظهر كلما وقع بصرها على أي منا نحن صغار الخدم.. وكانت ترافق ابن عم اللورد»!

جلست بري بفراشها ونظرت إلى القمر من النافذة المربعة وهي مقطبة الحاجبين وحاولت أن تعرف سبب تظاهر الأنسة كورتني بالم الرأس؟ فمن المستحيل أن تفضل مصاحبة جروم على مصاحبة اللورد؟ أليس كذلك؟! ورغم براءة بري أدركت بأن نفس الشيء الذي يجعلها تنفر من هاركورت هو بالذات ما يبهر أي فتاة ترعرعت في قمة الترف وبنفس الوقت فأكثر ما يجذبها هي الى اللورد تصرفاته العطوفة الحنونة وحمايته لها وتمتعه بالسلطة أي كل ما تنفر منه باميلا لأنها أغرقت بكل هذه المشاعر

والأمور منذ ولدت أدركها البرد القارص، فتكورت تحت غطاء فراشها واستسلمت للنوم وهي تفكر بأنها عاشت ليلة رائعة، نزهة خلابة ورائعة جداً رغم ادعاءاته يبدو أن هاركورت قضى ليلته في القصر حيث رأته بري وهو ينزل السلم عندما كانت تسارع بفنجان الشكولاتة الساخنة إلى غرفه دواجر ولم تفكر بأن تحييه باكثر من ابتسامة الا انه اوقفها بحركة بسيطة إذ مد ذراعيه وسد طريق السلم بكامله وابتسم لها وقال:

«آه يا بري، ما رأيك بالمهرجان؟».

«رائع».. أجابت بحماس وتناست بأن السيد هاركورت من أعدائها واستمرت بحماس: «هل شاهدت الخنزير المتعلم؟! وآكل النار؟» وأشرق وجهها لمجرد ذكر الأحداث وقالت: «آه لو رأيته وهو يشوي قطعة اللحم ولكن لم تره وهو يفعل ذلك خاصة وانه فعل ذلك لإرضائنا بشكل خاص لأن اللورد دفع نصف جنيه».

ضحك جروم وقال: «هل تقصدين اني بخيل لدرجة اني لن أدفع نصف جنيه إلى آكل النار؟ انت مخطئة لاني لم أدخل خيمته نهائياً».

«كانت تستحق الزيارة، يا سيدي ولكن يجب أن أذهب الآن بسرعة قبل أن تبرد الشوكولاتة».

«هل هذا قدح من الشوكولاتة؟ فمن المعجزات انه لم يتدلق اثناء جريك!».

نظرت اليه بدهشة وقالت: «لا أدلق أي شيء، فانا

أجري بثبات أفهمت؟».

«فهمت! وما عسى الآنسة كورتني أن تقول إذا علمت أن اللورد يصحبك إلى المهرجان بدلاً عنها؟».

ارتسمت الحيرة على وجهها وقالت: «ماذا تقصد بكلمة إذا فهي تعلم تماماً لأنها رأتني بعينيها مع اللورد. انها تعرف الحقيقة». ثم قطبت حاجبيها وقالت: «لكن اللورد لا يعرف الحقيقة لأنة صدقك أنت طبعاً».

فأجاب باستهزاء: «طبعاً ولكن ألن تكشفي له الحقيقة؟!».

جابهت عينيه بشجاعة وقالت: «لا» وحاولت أن تعرف لماذا لا تفضح باميلا امام اللورد؟

قرأ جروم افكارها وقال: «بالضبط ولم يفت الأوان، فلماذا لا تخبريه صباح هذا اليوم؟».

اختفت ملامح الحيرة وأجابت: «لأنه سيتألم كثيراً يا سيدي.. وسيشعر بأنه قد خدع، لهذا لن اقول له شيئاً».

شعرت بنظرة الحقد التي ارتسمت على وجهه ولكن بنفس تلك اللحظة انفتح باب غرفة السيدة وبرزت الوصيفة مورفيلد وقالت: «بري! هل هذا قدح الشوكولاتة الخاص بسيدتي؟. أرجوك يا سيد جروم لا تؤخر الفتاة بثرثرتك».

تحرك فوراً واخلى السبيل وقال: «ارجو المعذرة وأتقبل منك التنبيه»، ثم همس لبري وهي تسارع بالصعود «أخبريه فوراً لمصلحتك».

تجاهلت بري كلماته واستمعت إلى تأنيب مورفيلد

وتحذيرها من التمادي بالكلام مع أشباه جروم وكل هذه الفترة كانت تفكر لماذا لا تستغل هذه الفرصة لفضح الآنسة كوتني؟ ورغم ذلك أيقنت بأنها لن تقول بأن الآنسة ذهبت إلى المهرجان وبصحبة هاركورت وبأنها كاذبة وبأن خادمتها كاذبة أيضاً.

لو حصلت على جرعة صغيرة من السم او على أفعى بحيث تؤذي الآنسة كورتني لكان ذلك شيئاً جيداً ولكن أن يرى اللورد محبوبته بصورتها وهذا ما لن تقبل به بري أبداً.

فالحب، كما يبدو، ذو سلطة كبيرة جداً. واستمرت بأعمالها كما استمرت بأفكارها فلا شك بأنها غبية جداً، قد يتزوج الآنسة كورتني وهو يعتقد أنها مخلصة ثم يصدم بوقائع مؤلمة جداً بعد فوات الأوان؟!.

رغم هذه الأفكار المتضاربة كانت مطمئنة بأن اللورد أذكى من أن تغشيه الاعيب الآنسة كورتني لفترة طويلة سيكتشف حقيقة تلك الفتاة دون مساعدة جاريته الوهانة.. هذه الفكرة أراحتها وجعلتها تطرد الآنسة كورتني من أفكارها وتستمر بأعمالها بنشاط، وسرعان ما بدأت تردد مقاطع من أغنية شعبية من الأغاني التي تعجب اللورد.

بكل تأكيد ستعاقب الآنسة كورتني بسبب خطاياها والعقاب حتمي. لو تقدر على مسك أفعى أو اثنين وبهذه الحالة لن يحتاج اللورد أن يعرف أنها فضلت صحبة ابن عمه على صحبته.

طيلة هذه الفترة لم تدرك الآنسة كورتني بأن بري

تكرهها لمجرد انها لا تبالي بآراء من هم دونها إلا ان ذهابها الليلة الماضية مع جروم إلى المهرجان لأنه شوقها بأسلوبه اللا مبالي وبما أوحى من أنه رفيق خطر ورفضت دعوة اللورد لأنها كانت مصممة على الزواج منه وعلى كل حال فلا يجب أن يراها أي من الخدم أو العوام في المهرجان ولن تفيدها الأقنعة إذا كانت مع كرسبن.

رغم انها لا تفكر قط باحتمال الزواج من جروم المشهور بأنه زير نساء وبأنه إباحي الأفكار واضح بما حصله من ثروة من عشيقاته فلا يمنعها ذلك من إضافه اسمه إلى قائمه ضحياها. لو كانت والدتها على قيد الحياة لما سمحت لها حتى الاقتراب منه إلا أن والدها يعرف انها على وشك الخطوبه من اللورد أونيل لذا وافق على أن تمضي مدة شهر في قصر اللورد قبل العودة إلى قصره في لندن.

- ١٣ -

كانت تشعر بسعادة شيطانية وهي في المهرجان حتى تلك اللحظة في خيمة المرطبات حين رأت كرسبن يهب واقفاً وهو يسب ويلعن عندما رآها مع جروم. ارتبكت واصرت على العودة الى القصر فوراً كما اصرت ان يعود جروم ثانية الى المهرجان بصحبة امرأة شقراء يقدر ان يشتريها.

سارعت الى غرفة نومها وقد يبس الهلع فمها ووعدت نفسها ان لا ترتكب اية حماقة مستقبلاً اذا سلمت هذه المرة. اما اذا فقدت اللورد اونيل فستدخل الفرحة والامل الى قلوب عدد كبير من الامهات في مجتمع لندن الراقي فما يملك اللورد من سمعة وثروة واراضي يكفي لذلك واذا

اضفنا طلعته البهية وخصلات شعره الذهبية وعينيه الزرقاوين واخلاقه الساحرة واخيراً طول وجمال بنيته، فلا عجب ان غاص قلب الانسة كورتني عندما وصلت افكارها هذا الحد ولعنت دوافعها الجنونية.

دخلت الفراش وهي ترتعد من الغضب لسؤ تصرفها ثم انقلب شعورها الى استياء لافعاله هو.

كيف تجرأ اللورد واصطحب عبدة مملوكة الى المهرجان بدلاً عنها هي؟ فها هي مريضة في الفراش حسب علمه. وماذا فعل؟ تناساها كلياً وذهب للاستمتاع بصحبة بري.

لقد رأت وجه بري بكل وضوح عندما كانت على جانبي الدب الراقص كما لاحظت النظرات الولهاء التي اغدقتها الفتاة على اللورد فقالت لنفسها: «هكذا اذن» اما الآن فقد زمت شفتيها وانقعت نفسها بان كرسبن اعاد العبدة الى البيت ومرغها وبنفس الوقت يطلب منها هي ان ترحب به بذراعين مفتوحتين.

اكثر ما يثير غضبها هو انها غير قادرة على ان تصارحه وتعبر عن ازدرائها وحقدها وغيرتها دون ان تعترف بأنها كانت هناك الا اذا استطاعت ان تقنع جروم بالقول بأنه هو الذي اخبرها فالوشاية من شيمه والمنافسة شديدة بين ابناء العم للفوز بها.

تدارست هذه الاحتمالات لبرهة رغم انها لم تعترف بانها تغار من بري فلا يمكن من وجهة نظرها لعبدة مملوكة ان تثير هذه المشاعر واقنعت نفسها بأنها تريد الانتقام

لنفسها من كرسبن مقابل ما سببه لها من فزع، وقد تكون افضل السبل مجرد تناسي الحادث بكامله.

في اليوم التالي فتحت باب غرفة نومها مبكراً جداً ودعت جروم للدخول حسب الاتفاق رغم يقينها بشدة خطورة ما تعمل ولكنها مجبرة لكي تعرف نجاح او فشل خطتها وادركت بمجرد دخول جروم ان خطتها نفذت بنجاح وقال جروم.

«سارت الامور كأجراس العرس» واكمل التفاصيل فقال: «عدت الى المهرجان وصادفت فتاة طائشة ذهبية الشعر لففتها بردائك وألبستها قناعك ورافقتها في كل مكان، اطمئني لقد بددت شكوك كرسبن تماماً».

«جيد» قالت كورتني وبصوتها اثر من الغضب وادرك جروم من خبرته بمعرفة النساء واهوائهن بأنها تغار من بديلتها الشقراء ايضاً فتمادى باللعب والتأثير على عواطفها وقال.

«عرفت بأنك ستفرحين، فقد مثلت دورها بشكل ممتاز وقلت لابن عمي اني سأقضي الليلة معها ليطمئن وبعد ذلك تركتها وعدت الى القصر قبل الفجر».

ولكن كورتني لم ترتح لهذه الايضاحات وغضبت من الطائشة ذات الشعر الذهبي اكثر من غضبها بسبب اللورد وبري وانهت اللقاء بقولها.

«حسناً سأراك على مائدة الافطار» واشارت له بالانصراف. الا ان جروم لم ينصرف وقال.

«ايتها الآنسة كورتني او باميلا، حقيقة خيبت آمالي، فبعد ان انقذت سمعتك وبعد ان قضيت امسية مزعجة برفقة فتاة الهوى وتحملت عناء ليلة لعينة وانا في العربة محاولاً النوم فما جزائي مقابل كل هذه المعاناة؟ مجرد لفظة جيد وبنبرة باردة».

ابتسمت ورمقته بنظرة اكثر دفئاً بعد ان عرفت بأنه لم يمضي الليلة مع فتاة الهوى ولم يستمتع برفقتها ولم يحتج اكثر من تلك الابتسامة ليجتذبها ويضمها بين ذراعيه ويطبق جسدها الناعم على جسمه واخذ يقبلها بشغف لاهف بحيث تسارعت نبضات قلبها ولم تتمكن من ابداء سوى مقاومة واهية جداً.

اخيراً ارخى قبضته بزهو الانتصار وقال.

«هوذا الجزاء الذي يستسيغه الرجل، وسأراك ثانية على مائدة الافطار» وبهذه الجملة انطلق الى سلالم القصر حافي القدمين ووصل غرفته بعد ان ترك الآنسة كورتني غارقة بمشاعر متضاربة بين سعادة هذا العناق وغضبها من نفسها لتمتعها بتلك القبلة، ولكنها لم تعلم ما كان يقوله لنفسه عندما دخل غرفته لو علمت لاصابها الذهول والفزع فقد قال.

«بالضبط كما تصورت، فهي سمكة باردة من النوع التي تدفع زوجها الى ادمان الخمر والنساء الاخريات بعد اسبوع واحد من الزواج، على كل حال فهي غنية ولن اعترض بشدة اذا دفعتني الى احضان الغانيات وشرب

الخمرة».

جلس امام المرآة ليصفف شعره وتذكر باقي النساء كما تذكر تلك القبلة في الاصطبل فكانت الشفاه ناعمة والجسم شاب بحيث تسارعت دقات قلبه عندما تذكر بري فهي النوع الذي يوقظ كافة مشاعر آدم في الرجل فلو لم يكن يلاحق ثروة الآنسة كوتني لبذل جهوداً مضنية للفوز ببري فقد قاومته بعنف اكثر بكثير من الآنسة كورتني ولكن خبرته بالنساء اعلمته بانها قد لا تحبه هو ولكنها تحب الحب نفسه، ترك شعره وسرح بأفكاره وهو يتخيل اخضاع بري لرغباته ولم يعد الى الواقع الا عندما سمع دقات الساعة الكبيرة.

ربط شعره بعيداً عن وجهه ورتب هندامه ونهض فقد تبلورت عنده فكرة سبق ان امره كرسبن وبشكل عادل بالابتعاد عن بري ولكن من العدل ايضاً ان لا يمانع كرسبن في حالة اختيار باميلا الحياة اللائقة بجوار اونيل بدلاً من حياة الحب الصاخب والعواطف الجياشة معه هو من ان يأخذ تلك الفتاة المملوكة، مجرد هدية تعويضية؟.

بكل تأكيد ستخفف عن صدمة فقدان ثروة باميلا.

استيقظ الممثل الرابع في تلك المسرحية، ان جاز القول، وهو غارق بمشاعر الذنب، فقد اعتقد اللورد لفترة قصيرة ان محبوبته باميلا قادرة على احط وابشع انواع الغش وقد اثبت خطأه فيا له من خنزير، وقد قام بعمل اقبح فلم يستطع ان ينكر ان الامسية التي قضاها بالمهرجان مع

بري كانت ممتعة بشكل لا مثيل له كما لم يستطع ان ينكر اهتمامه العاطفي بالطفلة.

وانه وعد ان يصطحبها الى لندن دون ان يفكر بالنتائج وبالايضاحات التي يجب ان يقدمها في هذه الحالة، سبق او اوضحت له امه بانه اذا توصل الى اتفاق مع باميلا فستكون اول واجباته زيارة اللورد كورتني في ميدان بيركلي بلدن للفوز بموافقته الرسمية على زواجهما، فما موقع بري؟ لا يوجد اي مبرر للاحتفاظ بخادمة وهو اعزب كما يعلم ان الآنسة كورتني لن ترحب بها كاحدى وصيفاتها ناهيك انها متمسكة بخادمتها شابمان المتفانية بخدمة باميلا، اخيراً ذكر نفسه ان بري ستصبح عما قريب من ممتلكات اخته اليانور.

- ١٤ -

. فما مصير بري؟ رفض ان يصارح نفسه بما يرغب فهي مجرد طفلة، تثق به ثقة عمياء وبحاجة الى من تعتمد عليه، وهو رجل شهم وشريف حارب نفسه كي لا يضيف كلمة مع الاسف، اخيراً ابتسم، لحماقته فهو يحب باميلا وهي جميلة ورقيقة اما بري فهي مجرد. . . مجرد. . . يعني الموضع يختلف، بمجرد ان يتزوج باميلا لن يفكر قط بطفلة مملوكة مهما كانت جذابة، سيرسلها الى اخته في لفربول ولن يفكر سوى بزوجته الجميلة.

تقلب اللورد بفراشه ودفن وجهه في الوسادة واستغرق بنوم جديد بعد خمس دقائق فقط، واخذ يحلم ببري طبعاً.

بعد الغداء حصلت بري على اجازة حتى وقت العشاء

لذا قررت ان تزور السيدة بيرشور حيث لم تسمح لها مشاغلها الكثيرة بزيارتها قبل الآن وبدت هذه الفرصة مثالية فالسيدة الكبيرة كانت تزور اصدقائها وقد غادر اللورد مع الآنسة كورتني واخته الياتور الى لفربول لزيارة الخياط الذي كان يجهز الملابس لاستخدامها اثناء زيارة اختها في لندن غادرت بري القصر ومرت خلال الاسطبل حيث سمعت صوت هاركورت وهو يحاسب خدمه لذا افترضت بأنه ينوي ركوب الخيل بزيارة في محل ما.

سارعت بري بالسير وهي تغني لنفسها وفجأة سمعت وقع حوافر حصان خلفها فاتخذت جانب الطريق لتسمح بمرور الحصان والسيد هاركورت، بدأ كمن لم يلحظ وجودها وهي مختبئة بين الاشجار ولكنه فجأة سحب العنان واستدار على سرجه وصاح بصوت مرح.

«اهلاً بري اين انت ذاهبة؟ هل تريدين ان اوصلك؟»

وربت ارداف الحصان بحركة دعوة.

تذكرت آخر مرة انفرد بها فقالت بحزم «كلا سيدي، فأنا ذاهبة الى دار بيرشور وهو قريب جداً» رمقها بنظرة وتردد بالكلام ثم قال.

«حسناً سأسير بحصاني معك الى دارها».

فأجابت «افضل ان لا تعمل ذلك فللصحان اقدام ضخمة جداً واني اخاف ان يدوسني بها» تردد ثانية ثم رفع يده بحركة وداعية ودفع الحصان للجري ونادى قائلاً.

«حسناً ايتها الصغيرة، كوني جيدة».

بمجرد ان اختفى عن نظرها شعرت بالارتياح وسارعت خطاها فيجب ان تعود بالوقت المناسب للمساعدة في اعداد ملابس العصر للسيدة مورفيلد فاذا وصلت بسرعة سيتاح امامها وقت اكثر للثرثرة وتبادل الاخبار فهي سعيدة بصديقته رغم ان الخدم عموماً ظرفاء وبالاخص الرجال منهم فهي تفتقد مارثا.

لسبب ما كان الخدم يعاملون بري بحذر يقارب الاحترام لدرجة تثير الشكوك اما بيرشور فهي تختلف تماماً ويمكن الاعتماد عليها وتشوقت للقائها واخبارها بكل ما دار في المهرجان وعما دار في القصر وكانت تنوي ان تسأل عدة اسئلة خاصة عن الافاعي.

ولكن الصدف شاءت بأن لا تنجز شيئاً من خططها فبعد ان طرقت الباب عدة مرات ولم تسمع اي جواب ايقنت بأن بيرشور ليست بالدار ثم نظرت الى المدخنة فاذا الدخان يتصاعد مما يدل على ان النار ما زالت مشتعلة بالموقد فقررت ان تدور حول البيت ولاحظت ان نافذة المطبخ مفتوحة فاستنتجت بأن السيدة العجوز خرجت بزيارة قصيرة.

بعد تردد بسيط حاولت فتح الباب الخلفي فوجدته غير موصد فدخلت من المطبخ الى الغرفة الامامية وتأكدت من صحة استنتاجها عندما شاهدت ابريق الماء يغلي على النار وهو جاهز لصنع الشاي فقررت ان تصنع الشاي كمفاجأة لطيفة للسيدة العجوز فور وصولها وان تنتظرها قرب الموقد

لتستمتع بالدفء وبأصوات الماء والنار.

وبعد قليل سمعت صوت الباب الخلفي فاسرعت بالنداء كي لا تفزع العجوز وقالت «سيدتي بيرشور انا بري جئت لازورك».

انفتح الباب واذا بالسيد هاركورت واقفاً وقال بصوت فرح.

«نسيت ان ابلغك عندما تصادفنا بأن السيدة بيرشور معتادة على زيارة زوجة الحارس كل يوم اربعاء».

«فهمت اذن سأعود الى القصر» وحاولت الذهاب ولكنه لم يتحرك من الباب وقال.

«لا، لا تذهبي بيرشور على وشك العودة لانها تنتظر رزمة من السيدة الكبيرة».

«لا شك بذلك، ولكني لن ابقى هنا معك وحدك فلن توافق السيدة بيرشور ابداً، ارجوك ان تذهب» فأجاب بصوت خافت.

«هذا طلب بمنتهى قلة الادب» ونظر اليها بعينين براقتين تحت اجفان ثقيلة نعسة جداً وقبل ان تلحظ اية حركة وجدته واقفاً قربها وقد امسك كتفيها ثم جذبها اليه وقال «لماذا كل هذا الخجل يا بري؟ قلت لك انها على وشك العودة ولا داعي للخوف».

«اخاف؟ طبعاً لا، ولكني اعرف انك تريد ان تقبلني وهذا ما لا احبه ابداً» ونظرت اليه نظرة عناد فاحمر وجهها الصغير فأجاب.

«الا تحبين القبل؟ فلا بد انك الانثى الوحيدة التي اعرفها والتي تعترف بذلك».

وبدون اي عناء سحبها اليه بحيث ألمتها ازرار ردائه واكمل جملته فقال «لا بد ان يكون السبب في ذلك انك لم تحصلي على الكفاية من القبل» فأجابت.

«لم اقل اني لا احب القبل بل اني لا احب ان تقبلني انت، ارجوك اتركني».

«لا يفيد الرجاء يجب ان اجعلك تحبين قبلاتي» وانحنى ليقبلها فاذا بيدها الصغيرة تصفعه بكل قواها ثم تلت تلك صفعة ثانية باليد الاخرى.

اضحكته المفاجأة وقال «للقطة مخالب» ولاحظت اضطراب تنفسه وشدة غضبه بشكل ادخل الرعب الى قلبها ووجدت ذراعيها ممسوكتين وجسمها مضغوط تماماً على جسمه ثم باشر بكل هدوء وبطء بتقبيلها باستمتاع واثق بادئاً برقبتها واخذ يتقدم تدريجياً الى باقي صدرها لعلمه بأنها حبيسة قبضته ولعلمه بعدم جدوى استغاثتها.

الا ان بري كانت اشرس مما توقع ومرعوبة تماماً، ولم تثر شفتاه مشاعر الرغبة بل اثارت اقصى درجات الفزع وقد استعادت في مخيلتها حادث البحارة على السفينة وهم يقيدون العبدات المملوكات المكبلات وهن عاجزات عن اي مقاومة قبل اغتصابهن اعتقد جروم انها بريئة تماماً ولم يعلم بانها كانت اكثر علماً من اي واحدة من معارفه من النساء المتزوجات وحتى اكثر من جروم نفسه بمدى وحشية

الرجال المندفعين بغريزة الشهوة.

شعر جروم بنبضاتها المهووسة واوهم نفسه بأنها بدأت تستمتع بقبلاته ثم استدارت غفلة وغرست اسنانها في وجنته ولم تكن عضة غرام بل عضة حقيقية بكل شراسة وقوة الحيوانات الفزعة.

لعن جروم وترنح بمكانه تاركاً بري وبنفس الوقت سمع صوت من الباب يقول.

«تصرف لائق سيد جروم لمجرد ان تجد زائرتي وحدها» ودخلت السيدة بيرشور بكل ملابسها الى الغرفة والقت سلتها بحركة عنيفة على الطاولة وقالت.

«يا لها من سلة ثقيلة، زودتني السيدة تواني بشيء من العسل، حبيبتي بري، تعالي نتناول شيئاً من الشاي، اذهبي الى المطبخ وقطعي لنا شرائح من الخبز لنشويها على النار».

- ١٥ -

ادى صوت السيدة بيرشور الهادىء غايته وعاد اللون الى وجه بري ورحبت بالهرب الى المطبخ فاستدارت السيدة بيرشور لتواجه جروم.

«سيد جروم، اخجل من نفسك، تلك الطفلة المسكينة كانت ترتعد من الرعب وعضتك بما يجب ان يعطيك درساً تستحقه».

كان جروم يتفحص جرحه واستدار اخيراً لكي ترى السيدة بيرشور جرحه وقال «انظري الي، يا للعنة، لم افعل [illegible] يا لها من قبلة، كأنها ظنت بأني احاول...».

[illegible] بالضبط وعليك ان تستعمل قليلاً من [illegible] جاءت تلك المخلوقة الصغيرة من افريقيا

كما تعلم بيد تجار العبيد فمن المعجزات انها ما زالت بريئة رغم جمالها، ولا يمكننا ان نتخيل المشاهد البشعة التي عاشتها فعلاً» فأجاب.

«نعم... ولكن. يا بيرتي... عليها اللعنة لقد جرحتني. وسيبقى الاثر اكثر من اسبوع» فأجابت بشيء من التهكم.

«من حسن حظك اني دخلت في الوقت المناسب والا لازدادت جراحك كثيراً فالمخلوق المرعوب يحارب بكل قواه سيدي، كما يجب ان تعلم بعد ان قيدت يديها وحاصرتها فالعض هو الدفاع الوحيد الباقي لديها».

«لو قالت... ما الفائدة؟... ماذا اقول اذا سئلت؟ لا يمكن ان اقول ان بري عضتني».

«ادع بأنك اصطدمت بفرع واطيء، والآن انصرف يا سيد جروم وبطريق الخروج اعتذر من بري لمعاملتك لها كما لو كانت من غانيات المرفأ، لا فائدة من هز رأسك وانت خير من يعلم ان هذا اسلوب خاطيء لمعاملة بنات الاصل».

استدار جروم بعد ان كان في منتصف طريق الخروج وقال.

«بنات الاصل؟ بيرشي فهي مجرد جارية... عبدة مملوكة».

«هذا ما قيل فعلاً، اما انت اذا لا تستطيع ان تميز الفتاة بنت الاصل ذات التربية فأنت لا ترى بعينيك، والآن

انصرف».

دخل جروم المطبخ وتفحص بري وهي تقطع الخبز وسمعته فتوقفت وواجهت نظرته بنظرة مقابلة ـ هادئة وثابتة.

قال: «بري! انا آسف ولكني اقسم انني لم انو سوى تقبيلك بدليل اني كنت واثقاً من سرعة عودة الأنسة بيرشور».

فكرت بما قال واقتنعت فأخفضت بصرها وقالت:

«افزعتني جداً ويمكن انّي آذيتك بالعضة لكن انا متأسفة ايضاً».

هزت اجابتها مشاعره ومد يده لمصافحتها وقال: «هل نصبح اصدقاء، ثم؟ ما لم تعجبك قبلاتي سأحتفظ بها لنفسي او اتوقع العض المؤلم». اجابت:

«موافقة» ومدت يدها وصافحها وانسحب بسرعة وانحنى وقال:

«وداعًا مؤقتاً يا بري وشكراً لقبولك اعتذاري بهذا الأسلوب اللطيف».

بمجرد ان غادر الغرفة سارعت بري الى الغرفة وبأحد يديها الشوكة الطويلة وبالأخرى طبق الخبز وجلست امام الموقد وباشرت بشواء شريحة خبز وقالت:

«الشاي حاضر يا سيدة بيرشور فهل تسكبي؟».

«حاضر، لحظة واحدة وكل شيء جاهز» ثم تفحصت وجه بري الصغير بتعمق وقالت: «هل انت بخير الآن؟ انتهى كل شيء؟».

www.rewity.com
وردة دمشق
منتديات روايتي ٨٨

«طبعاً ولكن. . . هل تصدقين ان جروم لن يحاول ان يقبلني مرة اخرى؟».

ترددت السيدة بيرشور بالإجابة ولكن صراحتها اجبرتها على القول:

«هو مخلص بكلامه الآن ولكني اعتقد بأنه لن يلتزم بذلك طويلاً فأنت جذابة جداً وهو واهن جداً».

«يعني ماذا واهن؟».

تنهدت السيدة العجوز واخذت الإبريق الى المطبخ وسكبت الشاي بقدحين ثم عادت وتربعت على كرسيها المفضل وباشرت بوضع الزبد على شرائح الخبز ثم قالت:

«واهن تعني ان السيد جروم يحب الفتيات الجميلات، يا جميلتي، وطالما بقي متألماً من جرح خده فلن يسيء اليك ولكنه سيبقى بأمل تزايد حبك له، انصحك الابتعاد عن طريقه».

«كيف؟ فهو يصطادني ويعصرني بشدة. . اني اكره ذلك يا سيدة بيرشور».

«بالطبع تكرهين ذلك يا عزيزتي» بعد ان شعرت بضآلة التعبير اكملت: «سأتكلم مع السيدة الكبيرة عندما تزورني وستوقف الاعيبه، على كل حال سيسافر قريباً الى لندن ولن تكوني بنفس البيت معه لمدة طويلة، كفاك تفكيراً به فهو مجرد ضيف عابر».

«صح. كدت انسى ذلك. فما علي سوى ان انتبه لمدة اسبوع فقط».

شعرتا بالسعادة بهذه الفكرة وباشرتا بنهم الطعام البسيط

والتمتع بطعم العسل الجديد.

اخيراً عادت الى القصر لتجهيز ملابس السيدة الكبيرة وقد نست المشاكل تماماً.

نهض اللورد اونيل كما نهض ابن عمه جروم بعد العشاء احتراماً للسيدات اللواتي نهضن واخذن يغادرن الصالة فمرت السيدة الكبيرة قرب ابنها وقالت له بصوت خافت:

«بعد ان تشرب البورت ارجو ا ن تحضر الى جناحي»، اومأ طوعاً رغم انه كان مشتاقاً الى قضاء نصف ساعة هادئة مع باميلا.

فقال الى ابن عمه: «لا تحاول ان تسبقني الى باميلا هذا المساء فإني ملزم بزيارة والدتي» فأجاب جروم؛

«هكذا اذاً!» ورفع يده لا ارادياً الى جرح خده فقال اللورد:

«كيف جرحت؟».

«لا شيء، مجرد عضة».

«لابد انك خدشتها فهي متورمة وملتهبة، عضة ذبابة الخيل، اليس كذلك؟».

«على الأرجح، فقد ذهبت على ظهر الخيل بعد ظهر اليوم الى قرية ويفرتري لزيارة العمة نيل والعمة فيليستي وكلتاهما ارسلا لك تحياتهما».

«يجب ان ازورهما بنفسي قبل الذهاب الى لندن، فهما طيبتان رغم كبرهما وكانتا عطوفتين اثناء طفولتنا، على كل حال سأذهب الآن لمقابلة والدتي واذا بقي لي وقت كاف سأعود لأصبح اللاعب الرابع بوجود اليانور».

ترك ابن عمه وهو غارق بالتفكير وسارع الى جناح والدته وشعر برتابة كل شيء وعطر الشموع المضيئة اضافة الى نار الموقد النشطة وبنفس الوقت كانت الستائر مفتوحة بحيث تسمح لآخر أشعة شمس النهار بالتسرب الى الداخل وكانت السيدة الكبيرة قد تخلت عن الملابس الرسمية التي ارتدتها اثناء العشاء وارتدت ملابس خفيفة استعداداً للنوم، اما السيدة مورفيلد فانتهت من ترتيب شعر السيدة الكبيرة في الاسلوب المناسب للنوم وكانت على وشك الانتهاء من باقي واجبات قبل النوم ووضع كل شيء بمكانه.

بمجرد ان دخل اللورد ابتسمت السيدة الكبيرة بوجهه وقالت لبري:

«شكراً بري، يمكنك الآن الذهاب الى قاعة الخدم لتناول الطعام ثم تعودين بعد ذلك الى غرفة لبس الملابس لإكمال واجباتك هناك فلن احتاجك هذا المساء، انت ايضاً يا مورفيلد».

انصرفت مورفيلد فوراً اما بري فاستمرت بإزاحة الغبار عن احد الطاولات ثم انحنت بالتحية قبل الانصراف واستدارت بخطى انسانية من امام اللورد ولم ترفع بصرها سوى مرة واحدة عندما كانت امام اللورد تماماً وعندها رمقته بواحدة من ابتساماتها الساحرة الخلابة وبعدها اختفت.

«اجلس يا كرسبن اريد ان احدثك بانفراد عن بري».

«هل ازعجتك؟».

«هيهات، فهي تعجب الجميع حتى جروم! فقد تحملت بسببها محاضرة كاملة من السيدة بيرشور وقد كلمت بري

نفسها، يبدو ان روفس ابن الفلاح حاول ان يقبلها عندما كانت تقطف الورود لتضعها في غرفة اليانور كما قد قرصها خادمك الخاص قبل ثلاثة ايام حينما كانت تحمل الماء الى الطابق العلوي والسيد البرت كان منزعجاً من كثرة الاعتناء بها».

ثم اكملت بعد دقيقة تأمل قصيرة لدراسة انطباعات وجه ابنها وقالت: «قلت ان البرت كان مزعجاً لأنها اكدت لي بأنها جربت الأساليب المؤدبة قبل فعلتها».

«قبل فعلتها، اي فعلة؟».

«قبل ان غمدت شوكة الطبخ في ظهر يده مما اجبره على مراجعة الطبيب وهو الآن يعامل بري بمنتهى الاحترام».

«اود ان اعرف.. يعني.. اين كانت يد البرت عندما طعنته؟».

«حسب ادعاء بري كانت على فخذها وكانت تزحف الى الأمام كالعقرب مستغلاً ستر مائدة الطعام ولا الومها لما فعلت رغم اني اعتقد بان تخفيف حدة الطعنة كان انسب، والآن المهم السيد جروم».

«عجباً! لقد نهيته عنها بعد ان ضبطته وهو يحاول تقبيل الطفلة في الاسطبل واني متأكد بانه لن يفعل ذلك ثانية».

تنهدت السيدة اونيل ثم قالت: «عادت السيدة بيرشور بعد ظهر هذا اليوم الى دارها ووجدت الفتاة في حالة دفاع عن النفس مقابل جروم الذي كان يعتقد انه سيجعلها تستمتع بقبلاته اذا ما منح الوقت الكافي واكدت السيدة

بيرشور بانها لولا ان دخلت بالوقت المناسب لتحولت الحالة الى معركة ضارية بعد ان عضت وجه جروم بحيث افقدته صوابه».

هب اللورد واقفاً وهو يقول: «كيف يجرؤ بعد ان نهيته؟ قسماً لن اسمح له البقاء بداري طالما لا يسيطر على شهواته، فالنساء كافيات في الأماكن المناسبة وهو.. وهو يعلم اين..» توقف فجأة بعد ان ادرك بأنه يخاطب والدته التي قالت:

«اعلم.. اعلم.. عليك ان تتذكر يا كرسبن ان جروم ناجح جداً مع السيدات عموماً كذلك مع الخادمات اللواتي يستمتعن بصحبة النبلاء ورغم ان بري لا تشبههن خلقاً فهي جذابة جداً، اعلمتني سلينا بان حتى تفتون المستقيم وقع تحت سحرها».

«فعلاً يا امي فما عسى ان افعل؟ فهي اللطف طفلة و..».

قاطعته وقالت: «اعتقد بانها يجب ان تتزوج قبل ان تغتصب وتتلف، نعم اعرف ان كثيراً من القرويات يحملن اطفال النبلاء ثم يتزوجن من العوام ولكن بري تستحق خيراً من ذلك وقد فكرت بالسيد آرنولد لدشام، فهو مزارع مستأجر كما ان مزرعته على حافة ممتلكاتنا وهو اعزب يبحث عن زوجة» سأل اللورد:

«ما دخل موقع مزرعته؟».

اجابت الام بدهشة: «لابد من اعطائها مهراً! والا فما المشجع؟!».

«اذا حكمنا استناداً للاحداث وعدد الذين حاولوا النيل منها فما علينا الا ان نأخذها بزيارة الى تلك المزرعة لمجرد نصف ساعة»، قال اللورد وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة خبيثة ثم اكمل كلامه وقال:

«فهي المشجع اللازم بحد ذاته، تلك الشيطان الصغير، على كل حال فلا مانع من اعطائه المزرعة ولكن...».

«ولكن ماذا؟!».

«اشتريت بري اساساً هدية لباميلا، ولا احب ان اراها تتزوج رغماً عنها من فلاح خشن اليدين لمجرد انها جميلة جدا... ما رأيك اذا هددت جروم بما يقارب الموت وبنفس الوقت احذر الخدم فهم يخافوني وبهذا ستكون آمنة» فأجابت بابتسامة ذات معنى وقالت:

«اعتقد ان بري قادرة على تهذيب الخدم بدون مساعدتك ولكن الصعوبة او الخطورة تنبع ممن يفترض ان يكون اعلى منها اجتماعياً، اقصد جروم بالذات، فهو ذو بنية قوية جداً وخبير في اخضاع النساء لرغباته».

«انا كفيل به» اجاب اللورد.

لاحظت السيدة الكبيرة الخط الأبيض يرتسم حول شفتي ابنها فقالت:

«بدون عنف! يا كرسبن» تماماً كما كانت تخاطبه عندما كان طفلاً مشاكساً، استدار وابتسم لأمه ووعد: «بدون عنف، يا أمي». واختفى.

فكر وهو يمشي كيف ينفرد بجروم ليهدده بشكل قاس لدرجة انه سيطرده اذا عاود المحاولة وايقن ان هذا التهديد

يفي بالغرض خاصة وان جروم يستمتع كثيراً في حفلات الصيد والقنص التي تقام في ارض القصر نهاية كل عام كما انه المكان الأمثل الذي قد يجد به زوجة مثالية او صديقات المستقبل من الارامل الثريات وهو بحاجةماسة لهن لتعديل وضعه المادي.

رأى بري عندما وصل السلم وهي تعُبر القاعة بسرعة وتصعد السلم بخطى ثابتة وشعر برغبة كبيرة لبحث الموقف معها فإذا كانت هي نفسها ترغب الزواج من المزارع فلن يقف في طريقها. هنا وصلت رأس السلم ورأته بدورها وارتسمت على وجهها ابتسامة مشرقة وقالت: «آه، لقد اكملت عشائي وكنت في طريق العودة الى جناح والدتك يا سيدي».

«حسناً، سأرافقك واتحدث معك ريثا تكملين واجباتك من كي الملابس وخياطة وما شاكل ذلك». فأجابت بلهفة وغنج.

«نعم! هذا ممتع جداً، تفضل بالدخول».

ادخلته في غرفة صغيرة مكتظة بالفساتين والتنانير والاوشحة والباروكات وتشكيلة واسعةمن ادوات الزينة معلقة على كامل مساحة الجدران جلست على كرسي صغير ثلاثي القوائم وتناولت احد الفساتين وباشرت بتصليح الجزء الممزق من حاشيته ثم توقفت فجأة وقفزت بخفة الى الباب الثاني واسترقت النظر الى الداخل وعادت بابتسامة مكر وقالت:

«اعلم تماماً بان والدتك لن تسترق السمع الا ان ذلك

الجدار خفيف جداً وكثيراً ما سمعت كل كلمة دارت بينها وبين السيدة مورفيلد اثناء الليل» ولمعت عيناها ببريق ماكر وادرك معه انها كانت تتعمد استراق السمع ولكنها استمرت بالكلام فقالت:

«لكن لا خوف الآن فأمك ذهبت لزيارة اليانور هذا ما تفعله اعتيادياً في مثل هذا الوقت».

تطلع اللورد حوله ورأى حاشية فراش خشبي صغير تحت كومة ملابس فأدرك انها حاشية الفراش الذي تنام عليه احياناً فسحبه وجلس على حافته وقال:

اذاً يا بري، يمكننا ان نتكلم براحة فانا اريد ان اعرف منك انت ما هو شعورك نحو الرجال؟». ولم يعرف سبب تفوهه بهذا السؤال فهو يعرف الجواب وهو متأكد انها معجبة بالرجال ولكنها تكره القبلات وهذه هي العقدة فالرجال الذين يشعرون باعجابها يتوقعون تبادل القبلات كتطور طبيعي.

اما بري فشعرت بان السؤال مبرر تماماً واجابت بصراحة: «انا معجبة بك انت ولكني لا احب السيد هاركورت» فأجاب:

«انت لا تحبين السيد هاركورت لأنه... لأنه اعتدى عليك...».

فتوقف عن الكلام بسبب نظرتها التي فاجأته بها وقالت: «ليس هذا السبب! لو قبلتني انت لما مانعت».

«بري... ام... الموضوع هو الآتي..» اثناء هذه الجملة المتقطعة وهو غارق بالتفكير ادرك لأول مرة بانه

الرجل الوحيد في القصر الذي لم يحاول لحد الآن ان يقبل بري فإذا بوجهها الصغير امام وجهه وهي تتطلع الى عينيه وقد فتحت شفتاها وتوسلت بعينيها.

«يا للعنة» قال اللورد وهب واقفاً من على حاشية الفراش وخطف بري من على مقعدها كما لو كانت قطة صغيرة وشعر بسعادة غامرة عندما شعر بوزن جسدها عليه وطار عقله عندما شعر بساعديها تلتف حول عنقه وهي تدفع نفسها عليه. فحنى رأسه وتقابلت شفاههما.

صعق بموجة سكر اجتاحت اوصاله وغمغمت تلذذاً وفارقت شفتاها واخذ يستكشف فمها برفق خفف من اندفاعه المتزايد لأنه ايقن بانها تواقة للاستسلام.

تجولت يداه على كتفيها الرقيقتين وخصرها النحيف ثم اصطدمت بالفساتين السميكة ودون ان يدرك كان قد تحرك بضع خطوات الى الامام اما هي فلم تقاوم ابداً بل تمسكت به بشدة وسكنت بين ذراعيه.

في تلك العتمة وبين كثبان الملابس اختفت وساوسه فكانت هي متكئة عليه وقد استسلم فمها للمتعة، وعلم غريزيا ان جسدها رهن اشارته وادرك انه كان على حافة الهاوية، هو نفسه، نفس الشخص الذي مقت ابن عمه جروم لمجرد تقبيل بري. فقال:

«الهي! لا بد اني جننت!» ثم شعر بالدوار من فرط السعادة فقبلها بحنان وبرودة ثم ساعدها على الوقوف.

اكتسب وجهها لوناً ورديا غامقاً وسألت بصوت خافت مرتجف «لماذا سيدي اني اهيم بك! لماذا؟».

اجاب اللورد رغم رغبته الشديدة لامتلاكها بصوت اجش: «لابد اني اصبت بالجنون. انت مجرد طفلة».

نظرت اليه بعينين واسعتين واستفسرت: «الم يكن لك عشيقة قط؟!».

طافت ذكريات اللورد بهذا السؤال واستعرضت فيرونيكا براوننغ التي عشقها في بداية شبابه ثم جاءت كاثي سكلتن الممثلة التي كانت ممتازة على المسرح وفي فراشه ايضاً وبلع ريقه اذ قال لنفسه كلاهما لا شيء مقارنة ببري واجاب:

«نعم كان لي عشيقات الا انهن اكبر منك سناً واكثر خبرة ولم يكن... لم يكن» فقاطعته وقالت:

«هل انت قلق لأنك ستكون اول رجل؟ فلا بد من وجود الرجل الأول، اليس كذلك؟!» تنهد اللورد واجاب:

«بري يا بري، لا اريد ان تكوني بذلك الشكل! انت جميلة وبريئة ويوماً ما ستريدين الزواج، فهل تريدين ان تذهبي الى فراش الزوجية بمواد متلوفة؟!».

هزت رأسها وقالت: «زلا لن اريد الزواج وقبل لحظات كنت تريدني انت» وهنا مالت عليه ورفعت عينيها اليه فجمع كل قواه ليمنع نفسه من احتضانها ثانية وقالت:

«هل اني صغيرة جداً بحيث لا اصلح ان اكون عشيقة جيدة؟».

«نعم! هوذا السبب، عندما تصبحين اكبر سناً» ولكن ادرك معنى كلامه واستدرك قائلاً: «كلا فإنك لا تعرفين معنى كلامك اقصد...».

«كرسبن! ماذا تقصد بالضبط؟».

«فإذا بجروم ماثلاً كشبح الظلام فقال اللورد:

«إلهي، لقد افزعتني. كنت احدث بري وقلت لها...».

«قلت لها؟! يبدو انك كنت تتكلم عمليا وليس بالكلمات! على كل حال انت تريدها لنفسك وتحاول ان تجعلني اشعر بالذنب وتكلمني عن مسؤولياتك وما الى ذلك وبنفس الوقت تسعى للقاء غرامي كامل هنا!».

«لم اخطط لأي من هذا بل حدثت بري عن مخططاتنا...» ولكنه شعر بأنه غير قادر على الاستمرار بالكذب امام نظرات جروم المتهمة وهو ينظر الى بري وهي ملتصقة به وكتفها ما زال عارياً كما ان عينيها ما زالتا تلمعان بشكل فاضح.

فبادره جروم بالقول: «ماذا سيحدث عندما تسمع باميلا؟».

«فإذا باللورد يجيب بنبرة دفاعية ويقول: «لم امسها بسوء. قبلة».

«لي خبرة بالقبل انا ايضاً ولكن يا عزيزي القبل لا تجعد الملابس بهذا الشكل؟!».

نقلت بري بصرها بين الوجهين وقالت ثائرة:

«نعم يا سيد هاركورت، كانت مجرد قبلة، وكثيراً ما اعجبتني انا ولا تجرؤ ابداً ان تكلم سيدي اللورد بهذه اللهجة والا.. والا سأقتلك».

لسبب لم تفهمه هي هدأ الجو المتوتر فجأة وقال اللورد

بتوتر بسيط جداً: «لك الحق ان تؤنبني يا جروم ولكني اعدك باني سبق ان اعتذرت الى بري والأحرى بنا ان نترك الطفلة الآن لتكمل اعمالها».

بهذه اللحظة انفتح الباب المجاور ودخلت السيدة الكبيرة وقالت ببشاشة:

«حفلة صغيرة على ما ارى؟» وتفحصت الوجوه الثلاثة تباعاً واكملت القول:

«ولكنك مقصر تجاه اختك والآنسة باميلا يا كرسبن، وانت يا جروم فهما الآن في الغرفة الوردية يعزفان البيانو ويغنيان».

«حسناً يا أمي سنذهب فوراً لخدمة الآنسات» وقد احمر خجلاً ونظر الى ابن عمه وارتاح من الأعماق عندما رأى بأم عينه ان ابن عمه المشهور بالفضائح هو الآخر محمر الى عروقه من الخجل.

بمجرد ان تركا الغرفة تفحصت السيدة وضع بري بعد ان عدلت هندامها وشعرها ورغم ذلك استنتجت من احمرار الوجنات وبريق العينين وتورم الشفاه بأن تلك الفتاة مارست القبل وقد استمتعت جداً بتلك القبل ولكن من قبل من؟ هنا درست بذاكرتها تقاطيع وجه ابنها اول ما فتحت الباب وتذكرت انه استرق النظر الى بري عندما فتحت الباب وتذكرت بوضوح ما اكتنفته تلك النظرة من رقة فقد لا تعني شيئاً وقد يكون لتلك النظرة معان كثيرة فالأفضل اتخاذ خطوات ايجابية.

«عزيزتي بري. ما هو اسمك الحقيقي؟ الحقيقي

الكامل».

«راشيل بلانش نيكوليت بريكاند».

«فهمت وما هو اسم ابيك؟».

«جان كلود بريكاند».

«شكراً لإخباري فإنني على حق اسم بري اسهل للاستعمال وسنكتفي بذلك بالوقت الحاضر على الأقل».

ثم استطلعت الغرفة وركزت بصرها على المكان الذي تساقطت الملابس فيه عندما دفع اللورد بري اثناء العناق وقالت:

«عجباً انظري الى هذه التنورة فهي مجعدة وذلك الفستان الايطالي ملقى ارضاً، هيا يا بري اعدي المكواة واصلحي هذه الأمور».

تنهدت بري بعمق ولكنها باشرت بتنفيذ الامر وحتى هذا الواجب المكروه لم يمح البهجة من عينيها ولا الدفء من قلبها.

- ١٦ -

في اليوم التالي نفذ اللورد خطته واستدعى جروم الى مكتبه وأنبه وهدده رغم شعوره الداخلي بالحرج ولكن ابن عمه تقبل الموضوع برحابة ولم يجب سوى بطعنة واحدة عندما قال:

«اؤيدك تماماً يا ابن عمي فلا يليق بي ان اقبل طفلة كما ان هذا شعورك انت ايضا رغم انك لم تحصل على عضة مؤلمة مثلي. ولكن لا تعتقد انك تتصرف بغرابة؟ فانت لا تريدها لنفسك ولا تريد غيرك ان يلمسها؟».

[illegible] فذا تقدم شخص وطور للزواج

[illegible] محتمل؟ فهي مملوكة وعليك ان تعتقها قبل

ان تتزوج ولم تعتقها بعد».

«لا تريد ان تتزوج بعد ما زالت صغيرة» فأجاب جروم بفظاظة:

«هي لا تريد الزواج لانها تعلم يقيناً انه لن يتقدم لخطبتها سوى فلاح جلف، ولكنها بسهولة قد تصبح عشيقتك او عشيقتي انا اذا بعتها لي واني مستعد لدفع ضعف ما دفعته انت».

هنا شعر انه اغضب ابن عمه فقال: «لا داعي ان تتمنى قتلي يا ابن عمي ليس اثماً ان تشتريها انت ويبدو انك لا تحتاجها في حين احتاجها انا واذا اصبحت ملكي سرعان ما اقنعها لتصبح عشيقتي فلا تحتاج لأكثر من بعض القبلات واللمسات هذا شأن كافة النساء!».

استنكر اللورد كلام ابن عمه فتركه بمحله وغادر الغرفة الا انه في قرارة نفسه اعترف بان كلام ابن عمه لا يخلو من بعض الحق فلم يكن ابن عمه متزمتاً وله خبرات كثيرة مع النساء ولم يمنعه من السعي الجدي لإغواء فتاة صغيرة مثل بري سوى قربه من باميلا في الوقت الحاضر.

توجه الى الغرفة القرمزية حيث وجد اليانور وهي تعزف البيانو وبعد فترة وجيزة جداً شعر بالضجر من كثرة التفكير فيما سيقوله جروم لباميلا فاستأذن من اخته قائلاً انه سيخرج لركوب الخيل وترك القصر.

بنفس الوقت قرر جروم ان يخبر الآنسة كورتني بكل الاحداث لكي تدرك بانها على وشك ان تخسر امام جارية

مما سيدفعها لتحديد احد امرين اما ان ترمي نفسها في احضان كرسبن واما ان توجه اهتمامها لجروم وهذا بالضبط ما كان يتمناه.

وجدها بالمكتبة واقترح نزهة صغيرة بالحديقة فقبلت بلهفة لم ينتبه لمدلولاتها لانشغاله بالتفكير عن افضل اسلوب يخبرها به عما حدث وبعد ان سرد جزءاً يسيراً جداً من الأحداث تطاير الشرر من عينيها الزرقاوين وزمت شفتيها وقالت بحقد:

«تلك الحشالة! ان كان بحاجة لإطفاء شهوته فلينلها ويريحنا».

شعر جروم ولاول مرة بحياته بالصدمة ثم فتح فمه واغلقه ولكنه لم يتكلم بل اكملت كورتني كلامها برعونة وقالت:

«انه سيتقدم لخطبتي، انا اعلم ذلك فهو يعبدني بل يحبني بوحشية.. ولكن... نظراته لها... آه ما اكره الرجال احياناً!؟».

مع نهاية تلك الجملة استدارت بغضب وسارعت بالدخول الى المنزل كمن يهرب من إبليس وتركت جروم واقفاً كالأبله. واخيراً انّب نفسه بشيء من الغضب حيث انه لم يقل ما عنده بعد وحاول ان يتنبأ برد فعل هذه الشابة المتهورة.

كان بمقدور اللورد اونيل ان يجيب عن السؤال فقد ناداه صوتها وهو في الاسطبل حين قالت:

«حبيبي كرسبن! كثيراً ما قلت بانك تريد ان تسألني عن شيء مهم منذ حفلة الزفاف وعلمت انك امرت بتهيئة حصانك لتذهب في نزهة لذا هجرت المسكين جروم وامرت بتهيئة حصاني ايضاً كي ارافقك وسيكون بامكانك ان تسأل ما تشاء!».

برزت الآنسة كورتني امامه وهي في بزة ركوب الخيل التي اكدت جمال تقاطيع جسمها المثالي وروعة لون عينيها الرزقاوين خاصة القبعة الزرقاء الجميلة وهي تغطي الشعر الذهبي الكثيف كما لاحظ جمال الشريط الأزرق الانيق الذي ربط مقبض السوط برسغها.

الهي! بددت هذه المخلوقة الذهبية كافة شكوكي ومعاناتي النفسية فلا بد انها تريد ان تسمع طلب خطوبتها الذي نوعن عنه طيلة السنة الماضية.

اجاب بشيء من التردد:

«نعم كنت انوي ان اركب حصاني لأزور خالاتي... بالطبع يسعدني ان ترافقيني».

عصر ذلك اليوم عادت باميلا الى القصر واحدثت موجة إثارة وهرج فقد تعثرت عند دخول القاعة القرمزية واحمر وجهها وتكلمت بصوت عصبي مرتفع قليلاً عندما قالت للسيدة الكبيرة وامام جروم:

«سيدتي اونيل العزيزة! اعلم بأنك لن تفاجئي اذ طلب منك بعد فترة وجيزة ان تسمحي لي ان اناديك بكلمة ماما فقد قبلت عرض كرسبن واريد ان اعلن بأني سعيدة جداً

لدرجة استطيع ان ابكي».

هنا دخل اللورد ووقف جوار خطيبته ورأت امه وجهه المضطرب غير السعيد ثم قال:

«نعم وبكل تأكيد ستكونُ اول زيارة رسمية اجريها في لندن هي زيارة ساحة بيركلي رغم ان باميلا اكدت لي بأن اللورد كورتني سيسعده سماع الخبر».

واضافت باميلا بصوت سعيد جداً:

«ولن يفاجأ بالخبر نهائياً، ذلك لانك لا تقدر ان تنكر انك اعربت عن اهتمامك بي طيلة العام الماضي، يا سيدي».

لم يكن جروم الشخص الوحيد الذي لاحظ نبرة التهديد ضمن هذه الملحوظة كما لم يفوته ان مظهر اللورد اونيل لا يدل على السعادة التي يدعيها وشعر في نفسه هو تضارب عاطفتين متناقضتين، تأنيب النفس بسبب عدم اخبار باميلا بما دار بين كرسبن وبري بأسلوب مؤثر وبنفس الوقت شعر بنوع من الرضى والسعادة لأنه الآن يستطيع ان ينال الجارية بدون مشاكل. والأرجح ان كرسبن يفضل ان يبيعها له ليكسب الموضوع سيغته القانونية وزادت قناعته لأنه واثق بان باميلا لن تقبل قط ببقاء جارية ضمن ممتلكاتها.

اما السيدة الكبيرة فقد غرقت في دوامة من الأفكار والخطط فلم يكن لها ادنى شك بان باميلا احرجت كرسبن ليخطبها ولكن لماذا؟ هل يكمن الجواب في النظرة التي اعتلت وجه اللورد مساء امس عندما استرق النظر الى

بري؟.. هل اخبر جروم باميلا بما حدث؟ فاذا عرفت باميلا بان اللورد يعشق بري فلا بد ان تسارع بالخطوبة والا فقدته الى الأبد.

سارعت السيدة الكبيرة الى غرفة نومها عند اول فرصة مؤاتية بادعاء فسح المجال امام الخطيبين للتباحث على انفراد وفي غرفتها وجلت كلاً من مورفيلد وبري وهما يحضران الغرفة لتلك الليلة فقالت:

«آه، مورفيلد انت بالذات الشخص الذي اريد رؤيته، هل ارسلت جيمس الى لندن مع الرسالة التي وجهتها الى السيد والبول؟».

«بكل تأكيد سيدتي! لقد استقل عربة البريد كما امرت منذ اول امس ولابد انه هناك الآن ولكنك امرت ان لا يعود بدون جواب لذا قد يتأخر بعض الوقت».

تجاهلت السيدة الكبيرة نبرة السؤال في صوت مورفيلد واكتفت بشكرها ثم طلبت من بري ان تبلغ الآنسة كورتني بأنها ترغب التحدث معها بأقرب فرصة مؤاتية.

بعد دقائق قليلة امتثلت الآنسة كورتني بباب السيدة الكبيرة لمجرد ان تربيتها تستوجب منها عدم التأخير امام طلب مضيفتها ثم دخلت الغرفة برقتها المعهودة وقالت بلهجة حلوة:

«خادمتك تقول انك تريدين رؤيتي سيدتي» وشعرت السيدة الكبيرة من نبرة كلام الشابة ورغم حلاوة اللهجة حذراً وتأهباً فقالت:

«عزيزتي ان زواجك من ابني من اهم اسباب سعادتي ولكن يجب ان تدركي ان الموضوع يستوجب موافقة والدك وقبل ذلك يجب ان لا يعلن حيث قد يستغل لخلق مواقف محرجة جداً».

فكرت باميلا لفترة قصيرة ثم وافقت ان لا تنشر الخبر سوى بين صديقاتها المقربات.

«لا يا باميلا... ولا حتى اقرب صديقاتك فلا يجوز قط إرسال اعلان الى وكالة اعلانات وليمسونز ولا حتى مجلة لندن كازيت، وبصراحة يا عزيزتي فهذه الخطبة لا وجود لها وليس بمقدورها ان تتحقق الا بعد موافقة والدك وبعد موافقته الرسمية».

لم تثمر ادعاءات باميلا بأن موافقة والدها مجرد اجراء شكلي وبأنها تعرف رأي والدها وانه يتوقع زيارة اللورد لطلب يدها فور عودته من مزارعه.

رغم تلك الادعاءات اصرت السيدة الكبيرة بوجوب عدم نشر خبر الخطوبة الا بعد موافقة والدها رسمياً واخيراً ارغمت باميلا كرهاً على الخضوع والموافقة على هذا الطلب.

بعد ان غادرت الشابة جلست السيدة الكبيرة قرب النافذة واخذت تطرز سجادة صغيرة بوخزات صغيرة وسريعة وهي تفكر بعمق وقد اقتنعت بانها عملت احسن ما بوسعها لمصلحة ابنها وعليها ان تترك الباقي الى القدر والى مساعي السيد والبول.

www.rewity.com
وردة دمشقية
٨٨ منتديات روايتي ٨٨

سمعت بري بالخطبة بعد ان اعلنت بفترة وجيزة فأغضبها الخبر رغم انه لم يزعجها لأنها قررت بأن باميلا يجب ان لا تصبح زوجة اللورد ولم تفكر قط ان تحظى هي بالزواج من اللورد حيث كانت اقصى امانيها هي ان تقوم بخدمته وان تعرف بانه يعطف عليها ولكنها ادركت انه لو تزوج الآنسة كورتني فسوف تحرم حتى من هذه الامنية.

لذا يجب ان لا تتم هذه الزيجة. ولكن كيف تمنعها؟ فلا جدوى من احباط همة اللورد بهذا الموضوع. فرغم انها لم تر وجه اللورد عند اعلان الخبر، لكن الخادم الخاص كان موجوداً ووصف انطباع اللورد بأنه يشبه من اضاع جنبه ووجد ضفدعاً اما البواب فقد شبه وجه اللورد بوجه من يمتص ليمونة حامضة.

- ١٧ -

لذا استنتجت بأن اللورد اكتشف غلطته وعليها ان تجعل الآنسة كورتني تكتشف غلطتها ولكن كيف؟ كيف؟ فهي واثقة تماماً ان مكانة اللورد الاجتماعية وامواله الطائلة هما ما يجتذبان الآنسة كورني وليس باستطاعة بري ازالة هذه الميزات خاصة وهي تنظف حذاء السيدة الكبيرة ذا الكعب المرصع بالماس.

لذا فأفضل اجراء هو ان تفعل ما يجعل الآنسة كورتني تكره القصر وتهرب منه فاذا تزوجت اللورد يجب ان تسكن في هذا القصر ستة اشهر من كل سنة على اقل تقدير، نعم هذا الحل فسبق ان درست بري فكرة الافاعي اما الآن فيجب ان تنفذ الفكرة او ان تتخذ اي اجراء آخر فعال وقد

غرقت من خلال مباحثات عابرة مع رئيس الفلاحين بوجود نوعين من الافاعي في هذا الموسم بالذات.

كانت تجيد مسك الافاعي فكل ما تحتاجه هو كيس من القماش القطني الناعم وعصا طويلة ذات رأس على شكل شوكة اضافة الى البصر الحاد وسرعة الحركة. عندما عاشت في افريقيا كانت تشارك الاطفال في لعبة قنص الافاعي وكانت من المتفوقات بهذه اللعبة. لذا خططت نشاطها القادم بدقة لكي لا تقع هي بيد السيدة هاركورت رغم انها ابتسمت لذكرى آخر لقاء بينهما وتصورت انفعاله لو مسكها ومعها كيس مليء بالافاعي ورغم هذه الافكار قامت بجمع كل ما تستطيع من معلومات لهذه العملية.

اطمأنت هذه المرة لسلامتها الشخصية فقد اعلنت الآنسة كورتني بانها ستزور معمل الفخار بصحبة اللورد وجروم وستصحب الآنسة اليسون كودرس ابنة الجيران معهما لذا اختبأت بري في الاسطبل الى ان شاهدت بنفسها رحيل المجموعة.

فور اطمئنانها الى خلو الجو سارعت الى الغابة ومعها عدة صيد الافاعي وهي تنوي صيد اكبر عدد ممكن من الافاعي لاطلاقها في غرفة الآنسة كورتني بفترات متعاقبة حتى تهرب من القصر ولم تفكر في محل الاحتفاظ بالافاعي حتى وقت الحاجة وكل ما فكرت به هو ان حل مشكلتها يكمن بالحصول على الافاعي.

توغلت بري بالغابة الكثيفة ذات الهواء المنعش وهي

تتبع ابسط الاصوات واخيرا وصلت الى فسحة ذات اعشاب قليلة وشجيرات واطئة حيث سمعت حركة في المنطقة الكثيفة منها.

تقدمت بحذر وهي على اتم الاستعداد وقد امسكت بعصاها كالرمح تماماً وكل كيانها وتفكيرها مركز على طريدتها ثم طعنت بكل قواها قلب مصدر الصوت في الزرع الكثيف ففاجأتها النتيجة.

انتاب الآنسة كورتني شعور بوجود شيء غير طبيعي في هذه الزيارة، فالفتاة اليسون كودرس فتاة ساحرة الجمال والمعشر وهي من اصدقاء الطفولة لكلا الشابين، وازداد شعور كورتني بالخلل عندما ايقنت ان خطيبها اللورد اخذ يعاملها بكل احترام ولكن بدون ذلك الشغف الذي اعتادت عليه مؤخراً فأغضبها ذلك وانتقمت فوراً بالتحرش بجروم وحدثته عن مآثر الشباب الذين لاحقوها وعن الحفلات التي تنوي حضورها بما تبقى من الموسم وهي ترقب انفعالات اللورد بحثاً عن الغيرة ولكنها لم تر اي شيء حيث استمر اللورد بنفس الروحية المحايدة.

تلا ذلك ظروف الزيارة نفسها حيث اقتاد الورد الآنسة اليسون وترك جروم ليقتاد باميلا فحقدت عليها وعجبت لشجاعتها بالسير مع اللورد رغم وجود خطيبته معهم ولكنها بعد تفكير بسيط ايقنت ان المسألة لعبة من لعب جروم ولا بد انه هو الذي خبر الفتاة بانه متفق مع اللورد على هذا التقسيم وتأكدت من صحة نظريتها من خلال سير احاديث

الفتاة و تصرفاتها وما زاد من حقدها وغضبها هو ان [illegible] نفسه رغم عدم اشتراكه بالمؤامرة مباشرة لم يمتعض من مصاحبة تلك الفتاة بل انه كان يبذل قصارى جهده لاسعادها.

[illegible] عمداً ليهمس بأذنها بأنها جميلة جداً رغم غضبها ولولا الريش الذي غطى رأسها وقبعتها لما استطاع ان يمنع نفسه من تقبيلها بشغف.

لو اظهر اللورد اية علامة من علامات الغيرة لشعرت كورتني بالسعادة التامة ولاستمتعت بالموقف ولكن هذه الظروف لم تسبب لها سوى الغضب الشديد وامتنعت عن الصراخ لمجرد متطلبات اللياقة الاساسية بتربية سيدات المجتمع بالذات عندما قبلت الأنسة اليسون دعوة اللورد للبقاء لتناول العشاء وعقبت هذه السمجة بكل بساطة بأنها ستكون سعيدة بذلك وستحاول ان تقنع البانور العزف على البيانو وبهذه الحالة يمكنهم ان يرقصوا معاً.

ثم سألت باميلا عن رأيها فأجابت بحدة انها لا تحب الرقص وهي مصابة بصداع ولكن هذا التصرف دفع الفتاة الى تجاهلها تماماً والاندماج بحديث شيق مع الشابين معاً وتجاهلتها تماماً الى ان وصلوا الى الاسطبل وفور دخول القصر نادت السيدة الكبيرة على الأنسة كودرش لتغتسل في جناحها هي لتستعيد نشاطها قبل العشاء.

سارت الأنسة كورتني الى غرفتها وهي في اقصى

حالات الضجر والتعب و هناك وجدت وصيفتها وقد هيأت [illegible] جميلاً جداً واخذت تشكو متاعبها هي الاخرى [illegible]

[illegible] يا له من يوم عانيت ما عانيت فيه لاقناع بولي [illegible] حسب الصمم والعطب من البيت الزجاجي ولكن ضاعت

وصلت هناك لم يكن احد يعلم بشيء عن الورود فعدت ووجدت الورود الجديدة في محلها المعتاد».

ولكن الأنسة كورتني لم تسمع هذه الاخبار واخذت تنزع ملابسها وتقص قصتها هي فقالت.

«انا نفسي قضيت وقتاً مزعجاً جداً فقد استطلعنا اقسام معمل الفخار بملل والمكان حار جداً وجاريت حديث تلك الفتاة المملة رغم انه لا يوجد بيننا اي شيء مشترك فكل ما تفكر به هو الخيل والنكبة هو انها ستبقى معنا لتناول العشاء وعلي ان اتحملها طيلة باقي السهرة».

«لا بأس فالجلسة ستكون للاربعة واللورد سيكون معكم بحيث تت. . . ».

«اللورد هو الذي يعتني بها هي وبشكل فظيع والسيد هاركورت لم يبرح جانبي طيلة تلك الفترة، لا افهم ماذا يجري وأتساءل عن دور السيدة الكبيرة في هذه الامور خاصة وانها تصر على عدم نشر خبر الخطوبة يا لها من شريرة».

ادركت الوصيفة شدة غضب سيدتها وبادرت فوراً بتهدئتها وقالت.

«لا عليك، تعالي واستلقي قليلاً وسأضع كمادة ماء على جبينك واحضر لك واحدة من وصفات الدكتور جيمز هذا كفيل بتحسين حالتك».

وقامت بكل لطف بمساعدة سيدتها على خلع ما تبقى من ملابس زيارة المعمل وألبستها فستان نوم خفيفاً وذهبت فوراً الى الغرف المجاورة لتحضر الدواء فجأة سمعت صرخة داوية هزت ارجاء القصر وبعد تردد بسيط جداً اسقطت ما بيدها وسارعت لتتفقد سيدتها التي عاودت الصراخ المرعب.

- ١٨ -

لم تكن الوحيدة التي سارعت للنجدة حيث اندفع الى الغرفة بوقت واحد كل من مورفيلد وبري ثم الآخرون، سألت الوصيفة سيدتها عن السبب ولكن السيدة الشابة استمرت ببكاء حاد ومالت على احد الجدران واشارت بيد مرتعدة الى فراشها ثم قالت بصوت متقطع.

«ك... ك.. كنت اسحب الـ.. الـ.. شرشف وآه».

نظر الجميع الى الفراش وشاهدوا رأساً صغيراً وهو يخرج من تحت الشرشف وله عينان صغيرتان اليفتان جداً وجسم مستدير يكسوه الشوك.

«انه قنفذ؟ بحق الكائنات كيف وصل هنا؟» هذا ما قالته الآنسة كورديش وقد اتسعت حدقتاها، اما الوصيفة فتقدمت

بحركة سريعة وقد زمت شفتيها وهي تقول.

«يا له من قذر ومقزز سوف يملأ الفراش بالحشرات والقذارة، كيف وصل الى هنا؟».

اما بري بعد ان رمقت ضحيتها بنظرة رضى انسلت خارجة وعادت الى جناح السيدة الكبيرة وهناك سمعت الحوار الدائر بين السيدة الكبيرة وخادمتها عندما قالت السيدة الكبيرة.

«كيف وصل القنفذ الى فراش باميلا؟» ونظرت فوراً الى وجه بري ولكن بري بدت بريئة تماماً وتقدمت بشكل اعتيادي من السيدة الكبيرة بعد ان التقطت فرشاة الشعر وقالت للسيدة الكبيرة.

«اسمحي لي ان اعتني بشعرك يا سيدتي؟».

«بري كيف وصل القنفذ الى سرير الآنسة كورتني؟» سألت السيدة الكبيرة وراقبت انفعالات بري بالمرآة ولكنها لم تر سوى صوت البراءة ووجه هادىء فهزت بري كتفيها كمن يجهل تماماً فعادت وقالت.

«بري اين كنت بعد ظهر اليوم؟» استمرت بري بترتيب شعر السيدة الكبيرة واجابت بهدوء.

«ذهبت بنزهة صادفت بولي فقط واذكر اني بعد ذلك شربت الشاي مع السيدة بيرشور، لماذا سيدتي؟».

«فهمت» قالت السيدة بنبرة ذات معنى واكملت بلهجة آمرة «يجب ان لا يتكرر ذلك ابداً... أفهمت؟».

هنا رأت وجه بري يشع بأحلى ابتسامات شقاوة الصبا

ممزوجة بدهاء وقالت «كلا؟».

رغماً عنها ابتسمت السيدة الكبيرة وهزت رأسها وقالت مؤكدة.

«لا... واقصد ان لا يتكرر ابداً ابداً يا بري» وبعد تردد وجيز سألت بكل صدق «لماذا يا صغيرة؟».

«لانها لن تسعد اللورد» اجابت بري بتحد واكملت بصراحة «انها شريرة... هي بالذات... هي ليست جيدة» فأجابت السيدة.

«ولكنه طلب منها ان تتزوجه» فهزت بري رأسها وقالت.

«كلا، فقد كايدته حتى اضطر لذلك وجعلته يشعر بالحرج والخجل... اني صغيرة نعم ولكني اعرف كيف تم ذلك» تنهدت السيدة اونيل وقالت.

«يؤسفني بأنك محقة... ولكن ما فائدة القنفذ في الفراش؟» لمعت عينا بري بومضة ذكاء وقالت.

«الافعى احسن بكثير ولكني لم اجد اي افعى رغم ان جنكنز يدعي وجود افاع كثيرة»، صرخت السيدة وقالت.

«افعى!! اياك ان تجرؤي على ذلك ! فاذا ادخلت افعى الى الدار سأجعل ابني يرسلك بعيداً عن البيت وفوراً».

ابتسمت بري بشيء من الزهو وسألت.

«انك لا تحبين الافاعي؟» وبعد لحظات اكملت «حسناً لن اجلب للبيت لا افاعي ولا قنافذ».

«قنافذ».

«قنافذ» صححت بري لفظها واكلمت «هل آتيك بفوطة رش البودرة؟ سيدتي».

فكرت بري بعد ذلك بفشل مشروع البحث عن الافعى ولولا ذلك لحققت نجاحاً باهراً، اما المغامرة نفسها فبدأت بطعنة شديدة في قلب مجموعة شجيرات واطئة غرزت بين ارداف عشيق المسكينة بولي حيث كانت مشتبكة مع احد مساعدي الفلاح بعناق عنيف ولا يمكن وصف شدة غضبهما من هذا التدخل العنيف ناهيك عن الصدمة التي افزعت بري نفسها من هذه المفاجأة ومن صراخ المغرم وتهديداته وجزعها الخاطف لاحتمال انها طعنت غولاً او اسداً وحشياً نائماً... بعد نقاش حاد مع جملة ايضاحات قبلت على مضض امرهما بالذهاب والبحث في المناطق الاقل كثافة كي لا تزعج عشاقاً آخرين، وتذكرت تأنيب بولي عندما قالت بعصبية.

«المعجزة انك طعنت فريد في مؤخرته فقط ووقفت بتأثير صراخه ولولا ذلك لقلعت عيني» ولم اشأ ان توضح بري بأن كبر حجم مؤخرة فريد تشكل درعاً كبيراً جداً يحمي كل ما هو خلفه ثم تراجعت بعد ان طردت ولم تحصل سوى على ذلك القنفذ المسكين الذي عثرت عليه فيما بعد تحت كومة من اوراق الشجر اليابسة.

بعد ان غادرت بري غرفة السيدة الكبيرة جهدت ان لا تلتقي بالآنسة كورتني ولكن افكار كورتني انتشرت بواسطة وصيفتها التي صرحت في قاعة الخدم.

«لا شك انها فعل تلك الكافرة الصغيرة، بري... فهي مخلوقة قذرة تعسة تغار غيرة قاتلة من الآنسة كورتني ومن جمالها الفتان».

لم تكن الآنسة كورتني محبوبة في قاعة الخدم ولا حتى وصيفتها جابمان التي كانت كثيرة الطلبات وكثيرة التشكي.

فردت بولي وقالت «ليس من دافع يدفع بري لذلك» رغم ان بولي تعرف ما لا يعرفه الآخرون واستمرت بدفاعها وقالت.

«ليس لديك اي مبرر لتلك الاتهامات».

شعرت جابمان بتحيز الجميع ضدها فتناولت باقي وجبة الطعام بصمت مطبق وتركت جناح الخدم الى جناح سيدتها فور انتهاء العشاء اما بري فقد وصلت متأخرة وتناولت طعامها بسرعة فائقة واثنت على الطباخ فقالت له انه يصنع الذ الفطائر بالعالم بأسره وفجأة وجدت انها مركز اهتمام الجميع فقالت.

«لماذا انا بالذات؟ لماذا لا يكون شخصاً آخر؟» فأجابت بولي ايضاً قائلة.

«لن يجرؤ غيرك على ذلك فالآنسة كورتني ذكية وليئمة جداً رغم انها بجمال الصورة» واضافت الوصيفة مورفيلد فقالت.

«عليك بالحذر فعندما تصبح سيدة هذا الدار ستحول حياتك الى جحيم» فأجابت بري.

«لو ساعدني الجميع ولو قمنا بملء فراشها بالافاعي ولو

نرسل لها الماء البارد بدل الحار ونضع لها الحشرات في السلطة فلن تصبح سيدة هذا البيت قط» ولكن رغم ابتسامات الكثيرة واعجاب الآخرين لم تحصل بري على اي تأييد، اما الطباخة رولنز فقالت باختصار.

«انها جميلة وغنية، وقد يتزوج اسوأ منها» فصاحت بري.

«لكنه لا يحبها ولا تحبه» فأمسك البرت بيديها وعصرهما برفق وقال.

«الحب... انه لامثالك انت وامثالي انا يا عزيزتي، اما الطبقة الراقية فلها اسباب اهم من الحب للزواج فأنهم يستمتعون بالعشيقات لاغراض الحب ويتزوجون لاغراض المال والحصول على الثروة».

- ١٩ -

هزت بري رأسها ايجاباً وهي تفكر ثم قالت «فهمت... ولكن من مصلحتنا نحن ان يتزوج سيدة لطيفة... اليس كذلك؟».

ادت هذه الملاحظة البريئة الى كثير من الجدل والاستنكار فمن المعلوم ان رأي الخدم لا اهمية له بتاتاً في اعتبارات زواج السادة، لذا استسلمت بري للواقع وذهبت لتنام مبكرة ولكن بمجرد الدخول الى الفراش اخذت تفكر منطقياً بشيء عملي لحل المسألة.

فجأة سمعت صوت دقات خفيفة على الباب فانسلت من فراشها بحذر وسألت «من هناك؟».

«انا جروم هاركورت، اريد ان اكلمك» فأجابت

باشمئزاز.

«لا اصدقك اذهب» فأصر وقال «صدقيني... هيا يا بري... أدخليني».

عادت بري الى فراشها واجابت بصوت اعتيادي.

«لن اسمح لك بالدخول، الم تسمعني وانا ادخل بالفراش؟ افهم اني سأنام واذا عملت اية ضجة فانك ستوقظ الحارسة وهي ستطردك بعد ان تضع قملة في فروة رأسك» فأجاب.

«في اذنك يا بري ليس في فروة رأسك» فقالت «ماذا؟» وتنصتت فسمعته يتحرك ولكنه لم يبرح المكان وتكلم ثانية وقال.

«ماذا عن الزواج؟ كلمني همساً فأنا صاغية».

«اعتقد اني اعرف طريقة لمنع ذلك الزواج... والآن هل تخرجين؟» ورغم شدة غراء هذا الاحتمال تمسكت بري بزمام عقلها وقالت بثبات.

«كلا لن اخرج ولماذا لا تخبرني صباح الغد؟» وبهذه الجملة تخيلت وجهه وهو يبتسم بخبث ويكشر عن انيابه ثم سمعته يقول.

«حسناً... هل تقابليني عند الساعة السادسة في الاسطبل؟» فأجابت.

«لماذا لا نتقابل بمحل لائق؟» هنا سمعته فعلاً وهو يضحك واجابها.

«لا يوجد شيء مشين بالاسطبل على كل حال،

اردت... هس هناك شخص قادم، غداً الساعة السادسة» وسمعت بري اقدامه وهي تسارع بالذهاب وبنفس الوقت سمعت وقع اقدام خفيفة تقترب من باب الغرفة المجاورة ثم تتوقف ثم صرير الباب ثم سمعت صوت بولي يسألها بلهفة من وراء الحاجز «هل انت بخير يا بري؟».

«نعم انا بخير فلم افتح مفتاح باب غرفتي».

قطبت بولي حاجبيها وقالت «اذن كان رجلاً كما اعتقدت، هل كان فريد؟».

«طبعاً لا، ماذا يدفع فريد للقدوم الى غرفتي؟ هل هو غاضب مني لحد الآن بسبب تلك الطعنة؟ ليس ذلك عدلاً فقد اعتذرت» وبعد برهة اكملت كلامها وقالت «اذا تجرأ يوماً وجاء الى غرفتي ليعاقبني والله ان فعل ذلك سألقنه درساً قاسياً».

تمتمت بولي بعض الجمل المتقطعة واخيراً قالت «عفواً يا بري لم اعرف بماذا كنت افكر على كل حال تصبحين على خير».

عادت بري الى فراشها وفكرت قليلاً بموضوع فريد وخاصة بعد ان رأت ما رأت من فريد وبولي فهما اكثر من مجرد اصدقاء ولا مجال لزيارتها هي الا للانتقام، وتكورت تحت بطانيتها بتأثير البرد وتوصلت الى نتيجة بأنها لن تفهم الانكليز قط، كما قررت ان تذهب للاسطبل عند السادسة تماماً فلا بأس من تحمل قبلات جروم ان كان حقاً يملك خطة لمنع ذلك الزواج.

كانت الشمس مشرقة عند الساعة السادسة وقد طافت اشعتها في الاسطبل واكسبته لمعاناً بهيجاً عندما دخلت بري ووجدت جروم بانتظارها وعرفت من اول نظرة بانه جاد بموضوعه وقال.

«بري.. هيا نتكلم» فقالت.

«اتريد ان تتكلم بالغابة؟ ولكن» وهنا ابرزت سكيناً من سكاكين المطبخ الحادة، فضحك ملياً وقال.

«يا الهي اهذه السكين تضمن حسن سلوكي؟ فهل تغمديها بين اضلعي لو حاولت تقبيلك؟».

فأومأت ايجاباً وكان وجهها جاداً تماماً وقالت «نعم وان هذا الزواج موضوع جاد ويجب ان نتباحث بجدية».

«حسناً» ولكن تعالي الى الغابة فلا ارغب ان يراني احد من اهل البيت».

وبعد ان اختفيا بستر الغابة وجد جذع شجرة ساقطة جلس عليها وجلست بري على مسافة منه وقد ركزت بصرها عليه وقالت.

«حسناً كيف تستطيع ان توقف هذا الزواج ولماذا؟» فأجاب بكل صراحة.

«لان الآنسة كورتني غنية جداً، وانا لا، لذا اعتقد بأننا يجب ان نوحد جهودنا ونكشف اوراقنا انت نفسك لماذا تريدين منع هذا الزواج؟».

«لانها شريرة ولا تحبه» ولاحظت نظرة الشكوك فأكملت بعد ان احمرت وجنتاها «ولانها لن تسمح لي بالبقاء قرب

اللورد، فكل ما اتمناه هو البقاء قربه ولكن هي، هيهات، لن يعجبها ذلك».

اعترف جروم بصدق ذلك وقال «هذا صحيح والآن اسمعي انك تعلمين ان اللورد ميال لك وهو معذور فأنت جذابة».

انتبهت بري الى بريق عينيه وتأهبت ولكنه ضحك وربت على ركبتيها واستمر بالكلام فقال «كلا، لا تتعصبي، ما علينا. الآنسة كورتني لا تحبه ولكنها تغار منك فاذا رأتك صدفة في وضع مشبوه مع اللورد وامام عدد من الشهود فرضاً انا والآنسة كودرش او اي واحدة من الخالات، فأنا متأكد بأنها ستفسخ الخطوبة».

«وماذا يجري بعد ذلك؟» فأبتسم بخبث وقال.

«طبعاً لن يكون ملزم بالزواج من جارية مملوكة يا عزيزتي... ولكنه سيصبح حراً وسيبحث عن زوجة اخرى».

«نعم، تلك نتيجة جيدة ولكن ما معنى كلمة وضع مشبوه؟».

كتم جروم رد فعله الاول واجاب بعد تفكير لانتقاء الطف التعابير.

«فرضاً ان تشاهدكما وهو يبادلك القبل» وبعد توقف بسيط قال «عليك ان تبدين غير مرتبة لكي يصبح الموضوع اكثر اقناعاً يا بري مثلاً ان يكون فستانك مخلوعاً عن كتفك كما كان في جناح السيدة الكبيرة تلك الليلة وان تفكي

شعرك وتعبثي به وتسدليه طبعاً».

«فهمت» اجابت بري بنظرة حائرة وسألت «ولكن هل سيزعل اللورد ان يراه الناس معي وانا... غير مرتبة».

«سيكون سعيداً جداً ان يضبط وهو... وهو يحضنك» واستمر بكل لؤم يؤكد لها صحة كلامه فقال «ستنقذينه من الزواج، اليس كذلك؟».

«نـ.. نعم... ولكن ماذا ستفعل انت يا سيدي؟».

«سأقوم بمواساة الآنسة كورتني لحد كسب ثقتها وودها، اذا احسنت العمل، ورغم انك لن تصدقي يا بري فان الآنسة كورتني تستمتع تماماً بقبلاتي رغم انها تنوي الزواج من اللورد، والآن الخطوة الثانية من العمل هو المكان».

«المكان».

www.rewity.com
وردة دمشق
٨٨ منتديات روايتي

- ٢٠ -

«نعم، اين ستغتصبين ابن عمي؟».

«هل الاسطبل ملائم للـ.. يعني ماذا تغتصبين؟».

«تغتصبين، تعني تبادل القبلات والعناق، ولكن الاصطبل لا يلائم ابداً فان باميلا لا تذهب هناك كثيراً» فاقترحت بري.

«ماذا عن غرفة التجميل في جناح السيدة الكبيرة؟ فهي خالية معظم الوقت، هل هي ملائمة؟».

«لا اعرف... فلا ادري بأي عذر بسيط يمكنني ان اقوله لاخذ باميلا الى هناك... عرفت المكان المثالي. مكتب اللورد نفسه فغالباً ما هو هناك من العصر».

«جيد... اذاً هل انفذ بعد ظهر اليوم... حوالي

الثانية؟».

«ممتاز، اما انا فسأبقى بالخارج لاتأكد بأنكما هناك فعلاً وسندخل بعد ذلك بحوالي عشر دقائق هل يكفيك هذا الوقت؟».

«فكرت بري بالمرة السابقة وسرعة وصولها الارض مع اللورد بين فساتين السيدة الكبيرة وقررت ان عشر دقائق كافية جداً، وبهذا اتفق المتآمران وسارعت بري الى القصر لتحضير افطار السيدة وجروم اختلى بالاصطبل ليفكر بتفاصيل دوره بالمؤامرة.

شعرت بري بتوتر غير مبرر رغم يقينها بأنها ستنقذ محبوبها من زواج كريه ولكنها كانت تشك في شعوره هو بهذا الخصوص، فهل يريد هو نفسه ان ينقذ من ذلك الزواج؟! ام هل سيزعجه ذلك ويغضب منها كثيراً ما فكرت بالعودة الى جروم للتأكد ولكنها لم تفعل وفجأة وجدت نفسها امام باب المكتب في الساعة الثانية تماماً وقد دقت الباب برفق.

«ادخل».

انسلت الى الغرفة وردت الباب وراءها وكان اللورد يدرس سجلاً كبيراً جداً ولكنه رمقها بنظرة خاطفة ثم استمر بالنظر وقد علت وجهه اسارير السعادة. وقال:

«بري! ماذا تريدين يا صغيرتي؟» وكانت بري قد اعدت الخطوة التالية فذهبت الى وراء المكتب ورمت نفسها على صدر اللورد وقالت بصوت تخنقه العبارت:

«لا تتزوجها يا سيدي آه، ستطردني و...».

«ما كل هذا الجنون؟ لن يطردك احد» وكانت الآن تحتضنه بقوة وعيناها مسمرة بعينيه وقالت بصوت اجش.

«حبني يا سيدي... ارجوك ان تحبني وتأخذني بأحضانك».

من الاستحالة رفض تلك الدعوة او حتى مقاومتها فسحبها على حضنه وامال رأسه وقبلها وركز قبلته واخذ يداعبها بين ذراعيه وادرك بأنه هذه المرة سوف يمتلكها لنفسه واخذ قلبه يدق بقوة غطت على مسامعه تماماً وقد تشبعت خياشيمه، بعطرها وتذوق فمه عذوبة فمها، عندها وبهدوء تام سمع صوتاً يقول.

«كرسبن» فخلع نفسه من منهلها بصعوبة فاقت كل ما لاقى من صعوبات بالماضي ونظر الى مصدر الصوت ويديه ممسكة بخصلات شعرها ثم توضحت بعينيه الصورة بالباب فرأى وجوه وعيون مبهورة تحدق به اولها وجه جروم بنظرة شيطانية لا تكشف عن اي شيء ثم وجه باميلا وقد ابيض تماماً من الصدمة والغضب ثم والدته بوجه متمالك رغم الشحوب.

بعد فترة وجيزة وقف وانزل بري برفق وقد احمر وجهه ونظرت بري اليه فعرفت ان خجله لا يحتمل، وكانت تعرف تماماً الخطوة التالية التي يجب ان تتخذها ولكنها لم تتحمل قط اهانته فقالت دفاعاً عنه.

«لقد اغتصبني لاني طلبت ذلك... هذه هي الحقيقة

توسلت اليه ان يفعلها».

«اغتصبها؟» قالت باميلا بحنجرة جافة وصوت مصدوم ثم قالت «الهي انك تعرض علي الزواج وفي اليوم التالي تغتصب جارية مملوكة، اي نوع من البشر انت؟».

اما اللورد فأمسك بري امامه بقوة وعدل ثيابها وحاول ان يعيد شعرها الكثيف عن وجهها ونظر بقوة بوجهها وقال سائلاً.

«انا اغتصبتك؟» فأجابت.

«نعم فعلتها واقسم على ذلك ولكني انا طلبت منك ذلك» هنا دفعها عنه وصرخ.

«يا لم من مكارة تعسة» وتوجه الى المجموعة التي تسمرت بالباب وقال.

«استنتج يا باميلا ان خطوبتنا انتهت؟» فأجابت بصوت جامد.

«نعم» واستدارت وانصرفت من الغرفة.

لم ينظر اللورد الى بري ولكنه واجه جروم وقال بصوت منخفض مذهول.

«لقد خططت هي هذا المشهد جروم... صدقي... خططته بتفكير اجرامي وتعمدت ان تدخلي انت وامي هنا لتجدنا بوضع... الهي لقد سهلت كل العقبات امامي...» ثم سار بقوة نحو بري وامسك معصمها بقبضة حديدية ودفعها الى جروم قائلاً.

«خذها يا جروم فهي لك... ولا اريد حتى ثمنها».

استدارت لتنظر اليه بعينين واسعتين مبهورتين فقال اللورد بحدة.

«هل صدقت انك ستصطادينني، ايتها الحمقاء؟» واستدار وهو يهز رأسه ويكلم نفسه اكثر من الغير «كانت تبدو صغيرة جداً وبريئة جداً» وسار خارجاً.

تقدم جروم من الشكل المتجمد وعلى وجهه نظرة اسى وقال.

«لا بأس يا صغيرة سوف تمر الازمة ويعود الى طبيعته ولا شك انه سيدرك بأنك لم تقصدي ايذاءه، فهو مجرد خجل من ان يضبط بالجرم المشهود من قبل والدته نفسها».

واجهته بري بوجها الصغير الشاحب وقالت.

«لكن... انت الذي جلبت امه... وكنت تعلم، لماذا؟».

«لاني اردت ان احطم الخطوبة، فلن تتراجع بعد الآن، انظري لقد انجزنا ما عزمنا على انجازه ويجب ان نتجنب اي جنون الآن وتأكدي انه سيعلم غداً بأنه مدين لك انت بحريته وسيسامحك عما فعلت» نظرت اليه ولكنه عرف بأنها لا تراه وانها لم تسمع شيئاً مما قال فقال.

«بري... هيا يا صغيرة... لم تنته الدنيا» فقالت بصوت كليل.

«سيطردني... سيطردني... لن يغفر لي ابداً».

امسكها جروم من ذراعها وهزها بلطف وقال «لا تكوني

بليدة فلم يهبك لي الا لانه كان متألماً ومضطرباً وانا لن اقدر ان آخذك لان باميلا لن تسمح بذلك. . . اصبري يا صغيرة حتى تهدأ الامور».

ولكن بري التي ذهبت الى غرفتها بخطى ثقيلة لم تجبه ولم تأبه به فقد رأت نظرة الازدراء بعيني اللورد الزرقاء وتجاعيد الاشمئزاز على فمه التي كان قبل ثوان معدودات يلتهمها بقبلات شغوفة ولهانة.

مرت بحياتها القصيرة بأوقات عصيبة وبظروف عصيبة جداً وعرفت التعاسة واليأس.

ولكنها لم تتمن الموت مثلما تتمناه الآن.

«عاصفة في فنجان» اوجزت مورفيلد واكملت «هيا اكملي اعمالك يا فتاة طبعاً اللورد ارتكب خطأ عندما قبلك خاصة بأنه خطب الآنسة كورتني لتوه ولكن ليس ما يدعو الى مظهرك هذا».

- ٢١ -

اخذت بري الملابس التي تحتاج الى كي وتصليح ودخلت الغرفة الصغيرة ولم ترافق مورفيلد عندما نزلت لتناول الطعام لانها لم تتحمل نفسها ولن تجرؤ على مجابهة نظرات الخدم.

سمعت خطوات السيدة الكبيرة وهي تدخل الجناح ثم سمعتها وهي ترتب نار الموقد وتصورتها وهي تلبس حذاءً مريحاً، وادركت ان واجبها يستوجب ان تذهب لخدمتها ولكنها بقيت ساكنة بين كثبان الملابس وهي في قمة التعاسة.

فجأة سمعت طرقاً خفيفاً على باب جناح سيدتها وتلا ذلك صوت حبيبها اللورد وهو ينادي «ماما. . طلبتني؟».

«نعم يا بني... ادخل واغلق الباب» تلا ذلك عدد من لاصوات الطبيعية لفتح الباب وغلقها ووقع اقدام واخيراً الهدوء الذي صور لها الابن ماثلاً امام امه وكلاهما امام الموقد.

«حسناً يا كرسبن؟» سألت الوالدة وساد صمت رهيب الى ان تكلم الابن بصوت خافت وقال.

«اخطأت عندما وجهت كل اللوم الى بري... اعترف بذلك يا ماما... طبعا فإن المشهد كان مخططاً بدقة ولكني لم اجبر على تقبلها».

«هذا ليس مهماً يا كرسبن المهم الآن هو شعورك تجاه بري فهل تحتقرها لما فعلت وهل انك ما زلت تريد الزواج من باميلا؟ في مثل هذه الحالة اعتقد ان باميلا مستعدة لتقبل اعتذارك ويمكنك بعدها ان تزور والدها كما لو لم يحدث ذلك المشهد في المكتب؟».

«انا... لا اعرف» اجاب اللورد.

«اعتقد بأنك تعرف يا كرسبن» وساد السكون مرة ثانية وتخيلت بري وجه السيدة وهو ينظر الى وجه اللورد التعس الخجول، ثم سمعته وهو يقول.

«اعرف بأني كنت احبها حتى زعمت بأني اغتصبتها، كنت احبها ولم يهمني كونها جارية مملوكة، كنت مغرماً بها يا امي كنت احبها، اما الآن فقد فتحت عيني فهي تسعى للحصول على كل ما تقدر ولا الومها لذلك ولكنها لا تصلح لي، لذا سأعتذر من باميلا وسأبيع بري فلن تقبل

باميلا بابقاء بري بعد ما حدث في المكتب».

تلت ذلك فترة صمت اخرى اكثر حدة بسبب اصوات تنفس اللورد بشكل مرتبك الى ان جاء صوت السيدة الكبيرة الحنون برفق.

«كلا يا بني، لن تبيعها».

«يا للعنة، اذا لم ابعها فسأزوجها من الشاب ليدشام كما اقترحت سابقاً رغم اني اعرف انها شيطان متآمر فلا اقدر ان... لا اقدر ان...» وتلاشى صوته الى السكوت مرة اخرى.

«ولا تقدر حتى ان تزوجها يا كرسبن» اكدت والدته.

«ماذا، لا اقدر؟» وهنا لاول مرة كان في صوته نبرة نفاد الصبر فأوضح.

«امي هي مملوكة، هي ملكي انا، وبامكاني ان افعل اي شيء يعجبني، اللعنة لقد اشتريتها».

«كرسبن، كتبت رسالة قبل بضعة ايام الى صديقي القديم هوراس والبول واليوم استلمت الجواب منه واعلمني بأن الآنسة راشيل بريكاند ابنة السيد جان كلود بريكاند هي فرنسية فعلاً ولها اسرة كبيرة جداً في فرنسا وهذه الاسرة من النبلاء فعمها المركيز متلهف للتعويض عن سعرها الذي بيعت به وهو تواق لاعادتها الى موقعها ومكانتها الاجتماعية التي تنتمي لها فعلاً».

هذه المعلومات سببت ذهولاً وصمتاً في الغرفتين الى ان قال اللورد بصوت منخفض.

«اذاً هي مركيزة ومن اصل عريق، ماما ماذا علي ان اعمل؟».

فأجابت السيدة الكبيرة بصوت بهيج.

«اقترح يا بني ان تتزوجها».

«اتزوجها؟ لمجرد انها ادعت بأني اغتصبتها؟ يا الهي، فهي مكارة تعسة حتى وان كانت من اصل نبيل عريق... وتقترحين اني يجب ان اتزوجها لانها من عائلة ولانها تدعي بأني اغتصبتها؟».

بهذا المكان من الحديث انسلت بري خارجة من غرفة الملابس وسارعت الى غرفتها الصغيرة بأسرع ما يمكن وكان قلبها يدق بشكل مجنون وهي تفكر بمعنى اقارب في فرنسا ولكن المهم في كل ذلك قول اللورد، اتزوجها لمجرد انها ادعت بأني اغتصبتها؟ ثم فكرت في مدى صدق قول السيدة الكبيرة بأنها هي راشيل بريكاند لها اقارب في فرنسا وهم سيعتنون بها؟ ولذلك سيجبر اللورد على ان يتزوجها؟.

اخذت الدموع تسيل على وجنتيها ولكنها لم تستسلم بل تناولت معطفها ولبست حذاء متيناً وقررت الفرار لكي لا يجبر اللورد على ان يتزوجها لمجرد انه قبلها بضع مرات وهذا التفكير زاد من دموعها خاصة وقد اعترفت لنفسها بأنها كانت فعلاً مكارة وقد مكرت بالتعاون مع جروم رغم انها ارادت مجرد تحريره من ذلك الزواج فقد سببت له آلاماً كثيرة لذا يجب ان ترحل هي.

فكرت ان تبقى بعض الوقت لتعرف المزيد عن هؤلاء الفرنسيين الاقارب ولكنها لم تعرف الا القليل عن اخلاقيات المجموعة التي تعيش معهم الآن حيث يبدو من الاحداث ان اغتصاب مملوكة صغيرة مسموح به ولن يأبه بذلك احد شرط ان يعتذر الفاعل من السيدة التي ارتبط معها بوعد الزواج ولكن ان انقلبت تلك الجارية المملوكة الى سيدة مجتمع فـ... مسحت دموعها وانفها بكمها وبأسلوب بعيد جداً عن اللياقة في المجتمع وقررت امرها بنفسها كما تعودت سابقاً.

انسلت بصمت الشبح وفكرت بأنهما ما زالا يتحادثان ثم سمعت اصواتاً من مكتب اللورد.

«اذن انت مسافر يا جروم؟ سأفتقدك» كان ذلك صوت باميلا المكروهة.

«آملاً يا جميلتي بأن يزيد الفراق لوعة القلب نعم انا عائد الى لندن فلم اعتد قط على رعاية سيدة بدون اي امل في... مكافأة ولا انوي ان اغير اسلوبي الآن، وعلى كل حال عندما اكون بعيداً قد تقرري ان تجعلي ابن عمي اسعد انسان على وجه الارض فهو لائق تماماً اليس كذلك يا باميلا؟» فأجابت بصوت متقطع وبشكل مرغم.

«نعم... ولكن... ولكن».

«ولكن كم تتحمل المرأة من انتقاص بكرامتها؟ حقيقة لا اعرف، يجب ان تعلميني برسائلك والافضل ان تتوادع الآن خاصة واني سأنطلق مع الفجر قبل ان تستيقظ عيناك

«نعم» وبعد برهة قالت بصوت خافت «اتمنى ان لا تذهب يا جروم».

اطلق قهقهة قاسية وقال.

«تريدين لنفسك كل شيء، اليس كذلك؟ فاعلمي اني لست سهل المنال ولن اسمح لك ان تشبعي نزواتك على حسابي، يجب ان اذهب الآن والا لن انام كفاية قبل الرحيل، وداعاً يا ايها القلب البارد».

سمعت بري صوت حركة ثم صوت قبلة بعد ذلك ضحك جروم ثم قال.

«شيء بسيط ليذكرك بي عندما تكونين واقفة بزيتك قرب خطيبك، هذا اذا عاد واصبح خطيبك مرة ثانية».

- ٢٢ -

لم تتلكأ بري بعد ان عرفت ان جروم على وشك الرحيل فسارعت عبر القاعة الى الاصطبل وقررت ان تختبيء في صندوق الامتعة في عربته الكبيرة جداً، ووصلتها فعلاً ووجدت صندوق الامتعة مملوءاً ولكن لصغر حجمها تدبرت مكاناً لنفسها تحت احد البسط الكثيرة ورغم ان المكان مزعج فلم تبال لانها قررت ان لا تكمل الرحلة بكاملها بهذا المخبأ ولكنها قررت ان تتحمل هذا المكان حتى تقف العربة لتبديل الخيل وعندها ستنزل وتتوسل او تسرق باقي الرحلة بأية واسطة اخرى وعندما تصل الى اية مدينة كبيرة ستسعى للحصول على عمل في احد الخانات او لدى العوائل واخيراً ستشق طريقها الى

لندن وتحاول ان تجد سلينا ولم يكن لديها اي شك بأن تلك السيدة العطوفة ستساعدها.

سرعان ما غرقت بنوم عميق رغم تعاستها واستيقظت بتأثير الاهتزازات المرعبة ورغم ما سببته الحركة من اضطرابات معدية فقد احست بنشوة النصر فقد انطلقت بدون ان يشعر احد وجازفت باستراق النظر فرأت الشارع ينطوي تحتها بسرعة جنونية فارتجفت وانكمشت مرة اخرى في مخبئها واقنعت نفسها بأنها على الاقل انقذت اللورد كما لن يجبر على ان يتزوجها بدوافع المروءة الخاطئة، ورغم ذلك انسكبت الدموع مرة اخرى وفكرت بأن تقفز وتعود مسرعة من حيث اتت وفكرت بأنها لو تزوجته لكانت زوجة صالحة جداً ومحبة جداً.

لكنها امتنعت فهو يشمئز من الزواج كرهاً بخدعة المولد، اما السيدة كورتني فهي جميلة ورائعة وستعرف كيف تصبح سيدة القصر ولن تنقصها اي دراية بمستلزمات اللياقة وهي تعرف ما يسمح بفعله وما يرفض وكيف تعامل الخدم وكيف تكلمهم وكيف تطلب الاطعمة التي ترق للورد.

اما هي فلن تكون سوى ثقل وستقول الاشياء الخاطئة وتعمل الاشياء الخاطئة وتلبس الملابس الخاطئة فكل ما تعرفه هي هو ان تحبه وتسعده وهذه الاشياء يمكن ان يتعلمها اي مخلوق حتى الآنسة كورتني.

استمرت العربة بالاهتزاز واستسلمت للنوم مرة اخرى

وحلمت انها على ظهر السفنية التي جاءت بها من افريقيا وكل ازعاجات تلك الرحلة.

استيقظ اللورد اونيل عندما فتح خادمه الخاص الستائر وامتلأت الغرفة بأشعة الشمس فقال.

«يا له من صباح جميل».

- ٢٣ -

«جميل جداً» ولم يعرف سبب الجمال الخاص بهذا الصباح الا انه شعر بأن جسمه كان ينعم بالسعادة ولاول مرة منذ عدة ايام تواقاً الى الملذات المرتقبة لهذا اليوم، فجأة تذكر بري، ادرك حتى قبل مشهد المكتب، انه يحبها هي وحدها وبعد اول رفض غاضب لفكرة الزواج من تلك المخلوقة الصغيرة عاد وتمسك بفكرة الزواج بشدة لدرجة انه هو وامه امضيا اكثر من نصف الليلة يتحدثان بذلك الموضوع لا غير.

يا لها من ام رائعة، اخبرته بأنها شهدت الحب بعينيه عندما كانت تنظر الى بري قبل ان يدرك ذلك بنفسه بوقت طويل كما قالت له بأن بري كانت تتصرف بأسلوب بحيث

لم تصدق قط انها من مولد اعتيادي ولهذا فاتحت السيد هوراس والبول وتوسلت اليه ان يخبرها بسرعة عن كل المعلومات التي يستطيع جمعها واجاب بسرعة فان عم بري هو الماركيز دون مارن وانه يبحث عن ابنة اخيه منذ علم بوفاة اخيه الاصغر جان كلود بريكاند ففي البداية اعتقدوا ان الطفلة قتلت على يد الزنوج عندما داهموا المزرعة ورفض المركيز ان يتخلى عن الأمل ثم انتشرت اشاعة بأن احد التجار البرتغاليين كان يستقصي بعض المعلومات وانه يبحث عن فتاة صغيرة بيضاء اسمها راشيل بريكاند كانت ستتزوجه لولا انها اختفت من وسط القبيلة التي نشأت بها، وبالطبع هذه الاخبار جددت اهتمام الماركيز وفكر فوراً بتجار العبيد وارسل الاستفسارات المستعجلة الى جامايكا وحصل على مؤشر بسيط باحتمال وجودها في انكلترة وهو ينوي القدوم الى هذا البلد للاستفسار عن الجارية البيضاء التي بيعت في سوق العبيد في لفربول.

«يجب ان اذهب واخبرها فوراً بان لها اقارب واني انا احبها واريد ان اتزوجها».

«ليس الآن، فيمكنك ان تتحدث معها صباح الغد، ولو كنت محلك لاعتذرت منها اولاً عن اتهامها بالخديعة والمكر» بعد ذلك اخبرته عن محاولة بري لفسخ الخطوبة لخدمته هو وليس لاغراضها هي وقالت.

«تلك المسكينة لم تفكر قط بأن تتزوجك هي واذا خططت ان تفضحك في المكتب وهي بأحضانك فلم يكن

ذلك الا لانقاذك من الزواج من باميلا وليس لتفوز بك هي لنفسها».

«لماذا اذاً لا اذهب واخبرها الآن، يا للطفلة المسكينة، لا بد انها نامت بعد ان ارهقها البكاء».

«لانها بحاجة الى النوم والراحة لكي تفهم ابعاد الواقع قبل ان تجابه بهذه الاخبار، اعدك بأن اول شيء افعله صباح الغد هو استدعاءها الى غرفتي ثم استدعيك وبعد ان تحضر سأترككما لتتفاهمان، فما رأيك؟».

واخيراً جاء الصباح واستغرب كرسبن بأنه تمكن من النوم العميق وفاجأ خادمه بأن قذف الاغطية وقفز من السرير واعلن.

«اسمع يا كيز، سأتقدم هذا الصباح لخطوبة عروستي فعليك ان تساعدني باكمال حلاقتي وارتداء ملابسي بأسرع ما يمكن، رجاءً» فأجاب مستغرباً.

«نعم سيدي، ولكنك تقدمت بالخطوبة قبل ثلاثة ايام حسب معلوماتي الاكيدة».

انكمش اللورد قليلاً ثم ضحك وقال بعد برهة.

«والله انك محق، وانا الح اكثر من اللازم، ولكن خطوبتي السابقة انتهت وهذه المرة سأتقدم لخطوبة بري بالاحرى يجب ان اقول الآنسة راشيل بريكاند».

ارتسمت ابتسامة كبيرة على وجه الخادم الخاص وقال مخلصاً.

«انا سعيد جداً يا سيدي فهي سيدة صغيرة ومناسبة تماماً

رغم انها مملوكة» وسعد اللورد لأبعد الحدود بهذا التعليق واخذ يقص تفاصيل قصة الغرام التي علمها مساء امس من امه بينما كان خادمه يكمل حلاقته ويلبسه اثمن وابهى ملابسه وبمجرد ان اكمل هندامه سمع صوت الطرق على الباب فقال.

«وصلت مورفيلد لتستدعيني لغرفة الوالدة» وسارع بنفسه لفتح الباب واذا بالسيدة مورفيلد واقفة فعلاً ولكن وجهها شاحب وعيناها واسعتان واحدى يديها على عنقها وقالت بلهفة.

«ذهبت يا سيدي.. اعني بري».

«ذهبت؟» انطلق الى غرفتها وهو يقول «لا بد انها في غرفتها» وهرولت وراءه فوراً مورفيلد وهي تنحب وتقول.

«لا سيدي... لا... لم ينم احد بفراشها مساء امس، لقد ذهبت كما اخبرتك يا سيدي».

تجاهل كلامها وصعد السلم كالبرق ودخل الغرفة الاولى على اليمين رغم انه لم تكن هناك سابقاً ولم يبال قط بظنون مورفيلد بهذه المعرفة.

توقف اللورد وسط الغرفة الخالية وشعر بصخرة في حنجرته وجال ببصره على الملابس والاحذية والورد والسرير والبطانية الخفيفة والشباك المفتوح، هنا سكنت محبوبته عدة اسابيع ولم يكن يعلم مدى تعاسة المكان.

استدار وسارع الى جناح امه قبل ان تصل مورفيلد بداية السلم وصاح.

«ماذا لقد ذهبت، هربت وليس بكيسها اي نقود» وضحك بعصبية وقال «ولا كيس اساساً ذهبت وحيدة تماماً، الهي فهي واهنة جداً وتعتقد اني اكرهها، يجب ان اجدها» فقالت والدته.

«لم تبتعد كثيراً بعد، وقد امرت باعداد عربتي وسأفتش الشوارع المجاورة فسرعان ما سأجدها اذا هربت سيراً» فقال.

«لا بد انها تسير، فليس من وسيلة اخرى تسافر بها؟» وسمع وقع اقدام خلفه فاستدار فاذا بباميلا وهي بملابس حريرية وشعرها منسدل وبشرتها صافية في ضوء الصباح وايقن اللورد انه لم ير بحياته اجمل منها وبنفس الوقت لم تؤثر مفاتنها بنفسه بتاتا وقالت.

«وسيلة اخرى؟ طبعاً مع جروم فان جمالها يكفي لاغواء الرجال لبعض الوقت وهو مستاء لاني رفضته، فلا شك بأنه عرض عليها ان تصبح عشيقته وانها تقبل طبعاً فمن السعادة ان تتحول مملوكة الى سيدة ذات ممتلكات، ستضمن الطعام والملبس وستتمتع بنسبة من الحرية، فلا تقلق بشأنها يا كرسبن ولدينا نحن اشياء اخرى تستوجب البحث»

نظر اللورد الى الوجه الذي كان فيما مضى يعتقد بأنه اجمل ما رأى والى العينين الضحلة تماماً كالدماغ الفارغ الذي يستتر خلفهما فقال.

«يا لك من فظة عديمة القلب. انت تغارين منها ولا عجب فهي تساوي عشرة منك فليساعد الله زوجك»

واستدار الى والدته واكمل «سألحقهم بعربتي واذا وجدت انها صاحبته بمحض ارادتها، خلافاً لما اعتقد، سوف تعود خصوصاً بعد ان تسمع عن اقاربها في فرنسا وانا ساعيدها الى مكانها، حيث يجب ان تكون يجب ان انطلق» وانطلق فعلاً تاركاً الآنسة كورتني وتبعته امه وهي تصيح.

«كرسبن» فاستدار برهة وسمعها تقول «لا تؤذ جروم ارجوك يا عزيزي لا تؤذ جروم، جروم لا يعلم قيمة بري عندك» ورغم انفعالاته ابتسم واجاب.

«بدون عنف ماما، اعدك بذلك شرط ان اجدها سالمة» لم يطل الحديث وانطلق ثانية وسمعها تقول «اعرف يا ابني انك تريدها مهما حدث. . . اذهب اذهب بسرعة».

تقابلت السيدتان بعد ان اصبحتا وحيدتين وقد ايقنت الحسناء بانقاطع املها في الزواج من اللورد في حين اضطربت الام خوفاً على سلامة ابنها وسلامة الطفلة التي اصبح مصيرها الآن بيد شاب فاسق، كادت كورتني ان تنسحب الى غرفتها عندما وضعت السيدة يدها على كتف الآنسة وقالت.

«لا تشعري بالتعاسة يا طفلتي العزيزة فإن كرسبن ابني العزيز ولكنكما غير لائقين لبعضكما واعدك بانك ستجدين الرجل الذي يناسبك، اما بري، فأحبته منذ البداية كما اكتشفنا بانها ليست جارية مملوكة بل واحدة من نبلاء فرنسا».

www.rewity.com
وردة دمشق
مكتبات روايتي

تدريجياً ارتسمت علامات الحزن العميق على وجه الآنسة كودتني ثم قالت:

«سيدعي الجميع بأني لم اعجب اللورد ولم اتمكن من ارضائه».

واخذت تبكي واكملت: «وقد ط.. ط.. ط.. طردت.. جـ... جـ جروم!».

- ٢٤ -

ابتسمت السيدة الكبيرة لهذا التعليق العبقري ولكنها واستها بالقول:

«هراء يا حبيبتي! انك جميلة جداً لدرجة ان الجميع سيعرفون الحقيقة الا وهي انه لم يعجبك كرسبن وفضلت رجلاً آخر! واني اعرف ان السيد رنستيد حاول التودد اليك قبل عودة ابني كما دارت اشاعات عن دوق درزديل اضافة الى السير رودرك كاوبر وبالطبع هناك جروم ايضاً!» فأجابت:

«جروم يقدرني فعلاً ولكن اذا تزوج كرسبن في تلك ال.. » فقاطعتها لكي لا تكمل وقالت:

«آه ولكن اذا.. اقصد عندما يعود كرسبن ومعه بري

سأضطر ان آخذها الى فرنسا فوراً لتلقي باهلها وبالطبع سيكون كرسبن معي وبعد ذلك اعتقد باننا سننشر خبر التقائهما هناك لاول مرة، طبعاً كافة الخدم هنا يعرفون بري ولكن لحسن الحظ لم يقابلها غيرهم!» فأجابت بشيء من التحدي:

«انا اعرفها، وبمقدوري نشر الحقيقة».

«نعم يا عزيزتي باميلا، اعرف انك قادرة ولكن اذا قلت اي شيء فانا سأضمن ان يعلم الجميع بان اللورد نبذك وفضل جارية مملوكة، ولكن ان سكت فسيعتقد الجميع بان كرسبن تزوج بري كرد فعل بعد ان رفضته انت!».

ارضت هذه الفكرة غرور باميلا لدرجة انها ابتسمت وعاد الصفاء لوجهها والبريق لعينيها ورغم الدموع لاحظت السيدة الكبيرة هذا التغيير واضافت بدهاء الأفاعي:

«اما بخصوص جروم ان كنت فعلاً ترغبين بالتعرف اليه بشكل افضل فإني مستعدة لأكلم والدك وافهمه بان جروم كان متمرداً فعلا ولكنه لا يحتاج سوى الى زوجة رصينة وبعض المسؤوليات كي يستقيم» فقالت وهي بغمرة السعادة:

«صحيح؟».

«نعم، صحيح، الآن جففي دموعك وارتدي ملابس بهية وستتناول طعام الفطور معاً».

استيقظت بري عندما اندفعت جانباً بسبب حدة استدارة العربة عندما دخلت الى ساحة احد الخانات، عندها

استرقت نظرة ورأت جروم وهو ينزل ويصدر الاوامر بالعجلة، والسرعة فانه لن يتأخر اكثر من الوقت اللازم لشرب قدح بيرة واحد مع تناول صحن من الخبز ولحم البقر وبعدها يجب ان تكون عربته جاهزة.

ابتسم عمال الاسطبل فهم يتقبلون مساوئه لانهم واثقون من عطائه الجزيل اذا وجد انهم زودوه بمجموعة جيدة من الخيل وبالوقت المناسب. وبالفعل عاد جروم بعد فترة وجيزة وهو يمسح فمه بظهر يده وصعد العربة وامر السائق بالانطلاق مسرعاً. رفعت بري رأسها لترى المكان وشاهدها احد عمال الاصطبل ونادى ولوح فعادت واختبأت كالبرق ولم تجرؤ على القفز من العربة بعد ان سارت مسرعة ولكن الحوذي تجاهل صيحة العامل، لذا آست على نفسها وقررت ان تتحمل الاهتزازات والصدمات حتى الوقفة القادمة حيث قررت ان تنزل دون ان تأبه هذه المرة بافتضاح امرها لادراكها بانها ما لم تنزل هناك ستتجمد اوصالها ولن تقدر على الحركة نهائياً بعد ذلك.

فوجئت بري اذ لم تكن الوقفة التالية في خان يعج بالحركة والنشاط ولكن في طيق ترابي يؤدي الى غابة كثيفة فحاولت سماع الحوار وفهمت ان جروم مضطر للتخلي عن رواسب البيرة التي شربها في الخان السابق وسمعته وهو يسارع للاختفاء في الغابة ثم تأكدت ان ظهر الحوذي تجاهها ولن ينتبه لوجودها فسارعت بالنزول للاختفاء بالغابة حيث ستختفي حتى ذهاب العربة ثم تسير الى اقرب مزرعة

وتطلب العمل. ولكنها في غمرة حركتها كانت تتجه مباشرة الى جروم الذي طوقها بذراعيه القويتين وقال:

«الهي.. انها بري» وعلت وجهه الدهشة وقال: «بري! كيف وصلت هنا؟» فأجابت:

«جئت راكضة طبعاً.. اتركني يا سيدي!» ولكنه شد ذراعيه وقال:

«قسماً، لا بد انك كنت في صندوق الامتعة! اذاً انت ذاهبة الى لندن» فقالت:

«على كل حال تركت القصر» ثم نظرت اليه بصراحة وسألته: «سيدي اتأخذني معك؟» فأجاب بنعومة:

«طعاً.. طبعاً.. آخذك! وربما.. بعد ان نصل هناك.. ولكن سنبحث الامور فيما بعد والآن اجيبني.. هل اكلت اي شيء اليوم؟».

فهزت رأسها نفياً وقالت:

«ولا حتى مساء امس». انزل يديه عن كتفها ومسك رصغها بلطف وقال:

«حسناً ستتناول غداءنا بأسرع مما كنت انوي»، وقادها عائداً الى العربة وفتح الباب وامرها.

«هيا ادخلي».

سمع الحوذي ذلك الامر فاستدار وبهر تماماً عندما رأى بري فشفق عليه جروم وفسر قائلاً:

«كانت مختبئة مع الامتعة ولكنها ستسافر معي انا من الآن». تقبل السائق التفسير وعاد الى طبيعته ولكنه قال

لنفسه: «هكذا اذن تسير الامور!».

استرخى جروم في مقعده داخل العربة ثم انحنى نحو بري وقال: «سنقف قريباً في خان الاسد الذهبي حيث ستتناول وجبة طعامك على كل حال انت ولا شك تعبة اضافة الى انك تحتاجين الى الاستحمام.. اعتقد انك لم تجلبي ملابس اضافية فسأطلب لك غرفة خاصة لتستريحي بها وترسلي ملابسك للتنظيف والكي ريثما يتم اعداد الغداء».

من نظرة فاحصة ادرك بانها ترتدي احد فساتين سلينا بعد ان صغّرته قليلاً ليلائمها، كان فستاناً جميلاً الا انه بحاجة ماسة للكي والتنظيف بسبب الرحلة مع الامتعة فقال بعد هذا الاستنتاج:

«هذا افضل اجراء فانا لا ارغب الجلوس الى المائدة وانت امامي بهذه البهدلة».

نظرت بري الى وضعها واعترفت لنفسها بأنها فعلاً تحتاج الى بعض التوضيب كما انها فعلاً تعبة بسبب الوضعية التعسة في صندوق الامتعة فلم تعلق بل استسلمت لنوم عميق فأسندها جروم بلطف كي لا تسقط ارضاً، ولكن سرعان ما احتضنها وضمها اليه واخذ ينظر الى ثناياها والى اهدابها والى وجهها الشاحب واثر الدموع على وجنتيها ها قد وقعت اخيراً بين يديه دون اي جهد وسرح ببصره على الثنايا التي ارتجت مع كل هزة من هزات العربة كما اخذ يتفحص باقي جسمها فقرر ان

يسقيها الشراب ويطعمها ثم ينام معها. . هذه المخلوقة الصغيرة اللذيذة، هذه المرة لن تجد من ينقذها وكرسبن مشغول بعيداً عنها بمصالحة باميلا.

فكر جروم بانه يريد ان ينصف هذه الفتاة فسوف يوفر لها شقة انيقة في منطقة محترمة من المدينة وسوف يقدمها الى المجتمع الراقي ويعرفها بأصدقائه بحيث يستلمها شخص آخر بعد ان يملها.

- ٢٥ -

اما هي فقد تمتمت بعض الكلمات اثناء النوم وقربت نفسها الى احضانه بحيث شعر باحساس غريب في اوتار قلبه فأكمل افكاره السابقة وقال لنفسه «هل يمكن ان املها يوماً؟» ادرك بأن هذه هي المرة الاولى التي يتقبل بل يتشوق بها الى تحمل مسؤولية شخص آخر بحيث اخذ يفكر جدياً وبشكل مضطرب هل سيأسف مستقبلاً اذا اغتصبها الآن فهي صغيرة جداً ومعتمدة عليه كلياً ثم نظر اليها مرة اخرى فشعر بأنه قطعاً لن يغتصبها فتذكر ابتسامتها ذات الرصعات وكلامها الصريح وحيوية فكرها وتذكر ايضاً شعوره كلما احتضنها، فابتسم واقنع نفسه بأنه مهما حدث لن يملها.

فتحت بري عينيها ووجدت جروم يهزها بلطف وادركت ان العربة قد توقفت فقال.

«استيقظي بري، حجز لك الحوذي غرفة خاصة اما انا فسأذهب لطلب الطعام، انزلي وستصحبك عاملة الخان الى غرفتك».

شعرت بري بوخزة جزع عندما ادركت انها بصحبة جورم الا ان مظهره التعب ونفاد صبره جعله يبدو سالماً تماماً واثناء السير من العربة الى الخان رمقت وجهه بنظرة شك لتعرف ان كان سيستغل انفراده بها ويحاول احتضانها وتقبيلها ولكنه كان بعيداً جداً عن الغراميات ولم يتكلم الا عن الطعام وسألها عن افضل الاكلات التي تريدها واخيراً سلمها الى يد العاملة وذهب الى المطعم ليتحدث مع صاحب الخان دون ان ينظر وراءه وتركها بمجرد ان قال.

«سأراك فيما بعد يا عزيزتي» ثم اختفى.

اقتادتها العاملة الى الطابق العلوي والى غرفة جميلة تطل على ساحة الخان وقالت «اعلمني اللورد بأنك ترغبين بالاغتسال وتصفيف شعرك فالفرش الخاصة بالشعر محفوظة بالعلبة الصغيرة وقد جلبت لك الصابون والماء والمنشفة كما اعلمني بأنك تريدين تنظيف وكي ملابسك قبل الطعام» فقالت بري.

«شكراً انتظري قليلاً حتى اخلع فستاني لتأخذيه معك، لا تؤخريني لطفاً» فأجابت الفتاة.

«عشر دقائق فقط، فالمكواة ساخنة اساساً» واخذت

الفستان وانطلقت وبقيت بري بملابسها الداخلية لتتمتع بالصابون والماء الساخن وفرش الشعر وعندما سمعت طرقاً على الباب تصورت ان العاملة قد جلبت الفستان بالسرعة الموعودة فسارعت وفتحت الباب فاذا بجروم يدخل الغرفة ويغلق الباب بكل هدوء ويقول.

«هل كل شيء على ما يرام؟» كما لو كان وجوده بغرفة نومها شيئاً طبيعياً جداً خاصة عندما تكو بملابسها الداخلية وشعرها منسدلاً على ظهرها وبشرتها تنبض بالحيوية اثر الاغتسال العنيف، فأجابت بحذر.

«نعم كل شيء على ما يرام، ولن يتأخر فستاني» فهز رأسه ايجاباً وقال.

«والطعام ايضاً سيحضر بأقل من ساعة فهذا يعطينا الوقت الكافي للكلام».

هنا اخذ يدها وقادها الى الفراش وقال «اجلسي لنبحث وضعك».

«ليس على الفراش» قالت بري بسرعة واكملت «فالعاملة ستجلب فستاني قريباً وقد تسيء الظن».

الا انهما كانا قرب السرير فجلس جروم ومد يده وامسك بيديها وابتسم ورقصت بعينيه آلاف الشياطين وقال.

«يا طفلتي العزيزة، لا مبرر لمخاوفك، فلن تعيد العاملة فستانك قبل ساعة لاني صادفتها على السلم وامرتها ان تنظف الفستان بشكل جيد باستعمال الاسفنجة والصابون على ان يصبح جاهزاً قبل الطعام، اما ما تظنه فلا يهمني

اطلاقاً، لاني اعلمت صاحب الخان بأني انا وزوجتي نريد الطعام بأقل من ساعة».

شهقت وحاولت سحب يديها من قبضته وقالت «زوجتك؟ يا سيدي، لن يصدقك ذلك قط فليس معي حقائب ولا ملابس» فأجاب.

«لا اعتقد بأنه صدقني ابداً، وهو يعتقد بأنك عشيقتي ويا عزيزتي انوي ان احقق افكاره» هذه اللحظة صرخت بري ولكنه ببساطة رماها على الوسادة ورغم مقاومتها العنيفة تسمرت تحت وزنه باستثناء يديها التي انهالت على ظهره بدون جدوى، وبدأ يلثم رقبتها ويهمس.

«لا فائدة من الصراخ فاذا سمعتك العاملة ستعتقد بأنك في بحور الغرام وستحسدك لانك تستمتعين اكثر مما تتألمين اعدك بذلك».

كانت الوسادات ناعمة تماماً كالسرير وحركت رأسها بشدة كي تتفادى فمه ولكنه وجد شفتيها ورفع رأسها في اعماق الوسادة بحيث لم تتمكن من الافلات واطال القبلة.

لم تشعر بري بحياتها بمثل هذا العجز فما زالت متأثرة بكدمات الرحلة في صندوق الامتعة وقد اذهلت نفسها بقلة ادراكها فكيف لم تدرك سكنت تماماً ولكن الدموع المالحة انهمرت على وجهها بغزارة لدرجة انه احس بطعمها ورفع رأسه وقال «ما هذا؟ الدموع؟».

وشعرت بالفرج عندما تراجع عنها قليلاً وقد لانت ملامحه وقال.

«اسمعي فأنت لا تكرهيني، اليس كذلك؟».

لم تجب وهي مسمرة تحته على الفراش بل استمرت تنظر اليه رغم سيل الدموع فهزها بلطف وقال «بري... يا للعنة... فماذا ينتظرك غير هذا؟».

بهذا السؤال استعادت بعض شجاعتها وجاهدت الى ان جلست بمكانها وجففت عينيها وقالت «بامكاني الاشتغال بصفة خاصة في خان».

اضحكه هذا الجواب وقال «وكم تعتقدين سيمي قبل ان تأخذي ماء الحلاقة الى غرفة احد السادة المحترمين وفجأة تجدين نفسك في فراشه، وبمثل تلك الحالة سيرميك بعد ان ينال غايته، بري انك الآن وحدك وبدون اية حماية واني انا اعرض عليك حمايتي».

ترنحت ووضعت يدها على رأسها وقالت «اشعر بشعور غريب... كما لو اني سا... سا..» بدأ جروم كأنه يميل وثم اخذت الارض ترتفع وشعرت بنفسها تنزلق بدون اية سيطرة وفجأة ضربها شيء بارد على رأسها ومن هناك انتقلت الى الظلام.

عندما استعادت وعيها وجدت نفسها جالسة على حافة السرير وقد دفع رأسها بين ركبتيها وقد وضعت يدها خلف رقبتها، تململت قليلاً وشعرت بآلام شديدة وسمعت صوت جروم يطمئنها.

«لا بأس يا بري لقد فقدت وعيك لفترة وجيزة واني

احمق حقاً اذ حاولت اغتصابك وانت جائعة لاكثر من يوم كامل اضافة الى ما اصابك من ارهاق بسبب تلك السفرة لا عليك احضرت العاملة فستانك ويمكننا الذهاب لتناول الطعام الآن».

«وماذا سنفعل بعد ذلك؟» سألت بري بصوت شكوك عندما تحركت تجاه الباب، ثم انتابها الغضب عندما ضحك ولكنه اجاب.

«اترك الامور لوقتها».

- ٢٦ -

كانت الوجبة ممتازة بحيث كادت بري ان تنسى مشاكلها ولكنها لم تمس الشراب رغم الحاح جروم ثم تناولت طبق الحلويات بأبطأ ما يمكن واخذت تلعب بعد ذلك بطبق الجبن ولكن لا مفر من حلول اللحظة المحتومة فقال جروم بصوت فرح.

«هيا بنا واقتادها من مرفقها الى السلم واضاف بصوت خافت «لا تخافي فلن انقض عليك بمجرد ان يغلق الباب».

تلمست بري السكين الحاد الذي اخفته في اكمام فستانها اثناء العشاء فصعدت السلم بوجه بشوش بعد ان اتخذت قراراً بما ستفعله وهو ان تدخل الغرفة قبله وتستدير

فجأة وبيدها السكين الذي ستوجهه الى صدر جروم وتدفعه ليخرج من الغرفة وتنعم بعد ذلك بنوم ليلة هنيئة ولم يتسع تفكيرها الآن لاكثر من فكرة كيف تتصرف كي لا تصبح عشيقة جروم ولن تستسلم ما لم تنته ويشكل قاطع كافة الاحتمالات البديلة الاخرى.

ولكن جروم لم يكن ابلهاً، بل سار قربها تماماً بحيث دخل غرفة النوم بنفس اللحظة ولم يسمح لهاحتى ان تستل السكين بل واجهها قائلاً بصوت لطيف مداعب.

«والآن هات السكين، يا ثعلبة يا مكارة، هل كنت تنوين طعني فعلاً؟».

حاولت بري ان تمسك السكين من قبضتها اثناء اخراجها ولكنه فوت عليها تلك الفرصة بل اخذ السكين منها بكل هدوء ووضعها في جيبه هو ثم سار الى الفراش وجلس على حافته واخذ يربت على المكان القريب منه.

لاحظت بري انه لم يقفل الباب بالمفتاح ولكنها لم تطل النظر الى الباب فهل هناك امل بالفرار؟.

«تعالي اجلسي لتتكلم» ولكن بري ارادت ان توضح موقفها بقوة فقالت.

«لا» وهي تحدق بعينيه ثم كررت «لا ثم لا ثم لا سأحاربك واعضك واخرمشك ولن اقترب منك».

ابتسم وبعينيه بريق شيطاني وقال.

«اكيد فاني بالواقع افضل بري المقاتلة على فتاة كثيرة الدموع وسريعة غياب الوعي، انا ألتذ بالمقاتلات

الجميلات».

«سأذرف دموعاً ايضاً، وربما افقد الوعي».

ضحك ونهض وسار نحوها بعد ان خلع رداءه وبدا كالعملاق في قميصه الابيض المزركش وتعمد فتح ازرار قميصه وهو يسير تجاهها ورأت عرض صدره والشعر الغامق المجعد ولاحظت عظام قفصه الصدري عندما اخذ نفساً عميقاً.

فزعت بري من هذا التقدم المتعمد ولكنها لم تجروء على اظهار فزعها رغم تراجعها الى احدى الزوايا وشعرت بأن ضربات قلبها تكاد تخنقها وفي نفس الوقت امدتها بالقوة استعداداً للدفاع.

عندما اصبح على بعد قريب اخذت تركل عظام ساقيه بكل قواها ثم هجمت بدافع الرعب الوحشي وحاولت خنقه.

اما هو فقهقه باستخفاف وامسك ياقة قميصها ومزقه بسحبة واحدة الى حوالي الخصر.

هذه الحركة بهرت بري وحولت انتباهها ثم حاولت مسك القطعة الممزقة لتغطية نفسها واصبحت بذلك عاجزة تماماً عن منعه من حملها بدنياً ونقلها الى السرير حيث رماها بشدة وامسك ما تبقى من ملابس على صدرها ومزقها بعنف بحيث برز صدرها الصغير عاري ثم جلس عليها وقد فاضت عيناه بالشهوة وانتفخ منخراه واكتسب فمه انطباعاً شرهاً، وكان بهذه الصورة تجسيداً كاملاً لكافة مفاهيم الشر

بالنسبة للفتاة المرعوبة المحاصرة تحته.

«لا... لا» صرخت بري وهي ترفس الهواء وادركت غلطتها عندما مسك كاحليها بقسوة وسحب تنورتها الى اعلى بحيث غطت وجهها وكافحت الآن لتحرير وجهها ففوجئت بوجهه وهو امامها تماماً وبنفس الوقت شعرت بثقل جسمه الذي اخذ يطبق على جسمها الصغير بكل ثقله.

ثم جاء صوت ارتطام وسمعت سيلاً من الشتائم واختفى جروم تماماً.

جلست بالفراش وهي تتمسك بقصاصات فستانها الممزق ثم تركت السرير وهي تترنح.

كان اللورد اونيل واقفاً وعيناه تشعان بالغضب وامامه جروم بسرواله وقميصه المفتوح وشعره المنفوش وقد علت وجهه نظرة بشعة بمحل نظرة الشهوة بحيث ارعبت بري.

«اخرج من هنا... لعنك الله» كانت تلك كلمات اللورد اونيل في حين رأت بري انه يزم قبضته على مقبض السوط الذي بيده لدرجة ابيضت مفاصله ثم اجاب جروم ببطء وبصوت لطيف.

«هذه غرفتي انا... انا استأجرتها لنفسي وللمومس الخاصة بي انا، اخرج انت».

تحرك اللورد اونيل بسرعة غريبة بحيث لم يستطع جروم رؤيته الى ان انقلب الى صورة مشوهة ولم يكن امام جروم الوقت الكافي لتحريك اصبع واحد دفاعاً عن نفسه، فانهار ساقطاً ولم يستطع حراكاً، ثم امسكه اللورد اونيل من

حنكه ورفعه على قدميه بقوة.

شهقت بري بفرح بالغ وامسكت هي ايضاً كتفه وسحبته باتجاه الباب واقترحت بحماس.

«سيدي، تعال نرميه من السلم.. حاولت ان احبسه في الخارج او ان اذبحه بالسكين ولكنه تمكن مني» فسألها اللورد بلهفة.

«هل انت بخير؟» وبنفس الوقت ساعدها بدفع الكتلة التي كانت جروم خارج الباب ثم اخذ ينظر الى قميصها الممزق وشعرها المبعثر وسرعان ما حول نظره عنها وناولها احد الشراشف قائلاً.

«خذي... لفي نفسك بهذا» ولكنها قالت.

«انا سأغلق الباب بالمفتاح» ونفذت كلامها بنفس الوقت ثم اكملت بالقول «نعم انا بخير هل... هل... هل جئت لتنقذني؟ ولكن كيف؟ فليس بامكانك اعادتي الى القصر فلن تقبل الآنسة كورتني بذلك» فأجاب اللورد بثبات.

«اللعنة على كورتني.. لا تعني اي شيء بالنسبة لي فقد فسخت خطبتنا... جئت لآخذك للبيت... الى القصر... الى مكانك الصحيح».

«الن تأخذني الى اقاربي الفرنسيين؟» سمع هذه الجملة ولم يصدق اذناه ثم قال.

«اتعرفين؟ ولكن كيف؟ هل اعلمك جروم؟ والله سأقتله ان حاول اغتصابك رغم علمه بذلك حتى ولو يشنقوني

لذلك» ولكنها اجابت فوراً.

«سمعتكما عندما كنت في غرفة الملابس بجناح السيدة الكبيرة وسمعت انك لا تريدني ولهذا هربت واختبأت في صندوق الامتعة بعربة جروم ولكنه وجدني...» فأجاب.

«سمعت... فلا بد انك تعرفين بأني اريد الزواج منك وان والدتي تنوي ان تأخذك الى فرنسا بعد ان تعلن خطبتنا نحن الاثنان. اذن انت لا تريدينني؟» فشهقت وقالت.

«لا اريدك مولاي العزيز، لم اعرف اي شيء مما قلت وهربت عندما وصفتني بالمكارة وعندما قلت بأنك لن تتزوجني».

www.rewity.com
وردة دمشق
٨٨ منتديات روايتي

- ٢٧ -

بعد فترة وجيزة تقرب منها كابرة صغيرة يجذبها مغناطيس جبار وضمها بذراعيه وقبل الوجه الصغير الذي تطلع اليه وهو يتمتم «احبك يا بري، اريد ان اتزوجك اكثر من اي شيء بالعالم» فقالت.

«الا تفضل ان تجعلني مجرد عشيقتك؟» وتراجعت قليلاً لتتفحص وجهه ورفعت اصبعها الصغير الى شفتيه وهي تقول.

«لم يكتف جروم ان يغتصبني فقط بل حاول ان يجعلني عشيقته ايضاً».

امسكها اللورد اونيل من كتفيها وعلى وجهه نظرة ذهول وسألها كما تسأل هي.

«معنى ماذا؟ يغتصب؟».

ابتسمت هي لسماع لهجتها بالسؤال ولكنها قالت.

«يعني القبلات والعناق طبعاً... اعرف ذلك طبعاً ولكن يا مولاي هناك اكثر بكثير من ذلك عندما تصبح المرأة عشيقة! فقد مزق فستاني وقد...» هز اللورد رأسه وقاطعها قائلاً.

«كفى... اطمأنيت الآن... وعدت امي ان لا اؤذيه».

جال بصره على وجهها الصغير المخطط بآثار الدموع وفمها المتورم وآثار الكدمات على كتفيها ونهديها حيث كانت اصابع جروم وقال.

«انه لم... لم يؤذك يا محبوبتي الصغيرة».

امالت جسمها عليه واحاطت رقبته بذراعيها ولم تبال بسقوط الشرشف وقالت.

«طبعاً لا... انقذتني انت! فهل اصبح عشيقتك؟».

اخذ يرتجف واخذ اللون يعود الى وجهه الذي شحب منذ دخوله غرفة النوم واجاب بصوت محرج.

«لا يا بري... فأنا اريد ان اتزوجك يا للعنة فأنا احبك».

«وانا احبك انت... يا مولاي الحبيب» ورفعت نفسها على رؤوس اصابع اقدامها لتقبله ولكنه ابعدها عنه ونزع سترته واعطاها اياها قائلاً.

«البسي هذه السترة وانا سأنزل لجلب حقيبتي من

العربة... لم تعرف امي بأني سأجدك بمثل هذه... هذه الملابس الممزقة ولكنها ادركت انك لم تأخذي اية ملابس او ادوات زينة فوضعت في حقيبتي قستاناً مع باقي احتياجات السيدات ويمكنك ان ترتديها كي نعود الى بيتنا».

كادت بري تعترض ولكن صوت الذي جاء من خلف الباب اسكتها اذ نادى.

«اسمع يا كرسبن لكمتك قوية يا بغل... على كل حال يبدو انك لن تتزوج باميلا بعد كل ذلك الجهد؟».

استدار اللورد اونيل واجاب ابن عمه الخفي بصوت بارد وقال.

«صحيح».

«بهذه الحالة مرحباً بك في غرفتي سأعود انا مباشرة الى القصر لاحاول حظي مع باميلا» فأجاب اللورد بصوت غاضب.

«الافضل ان لا اجدك هناك عند عودتي» ولكن الصوت من خلف الباب عاد بنبرات اكثر تودداً واقناعاً وقال.

«خفف من حقدك يا ابن عمي... كيف لي ان اعرف انك مغرم بتلك الجارية؟ اسمع اذا بقيت هذه الليلة هنا فلن تصل القصر قبل عصر يوم الغد وبهذه الحالة عندي الوقت الكافي للتحدث مع باميلا ومحاولة اقناعها واصطحابها معي الى لندن لزيارة والدها».

«اذهب الى الجحيم» اجاب اللورد وكانت بري قريبة جداً منه لدرجة ان عطرها ملأ انفه وقد تركت معطفه

مفتوحاً بحيث لم يجرؤ على النظر الى الاسفل خوفا من انهيار اعصابه لدرجة التخلي عن قراره بالتصرف بالشكل اللائق بالسادة.

«كرسبن، امنحني فرصة فقد حصلت على ما تريد فلم لا احصل انا على ما اريد؟».

هنا تدخلت بري بصوت نغم فقالت.

«ولم لا يحصل على ما يريد؟» ثم نزعت معطفه ورمته بدون اي اهتمام وطوقت رقبته واكملت «من سيعرف يا سيدي؟» ورد الصوت من خلف الباب قولها فقال.

«اعني... لن يعرف اي انسان انك انت كنت اختيارها الاول؟».

«اسمع كل ما اريده هو ان تبقى هنا هذه الليلة فقط» والآن بري هي التي ردت كلام المتوسل فقالت.

«هذا كل ما اريده انا» فلم يتحمل اللورد ونظر الى الاسفل وكانت تنظر اليه بأجمل واغوى نظراتها وادرك اللورد ان قراره اخذ يضعف فجاء صوت جروم مرة اخرى وقال متوسلاً.

«كرسبن هيا امنحني فرصة».

اما اللورد فقد حنى رأسه ولامست شفتاه شفتي بري برقة ونعومة وبنعومة فتحت فمها وهو يقنع نفسه بأن القبلات لا تشكل اثماً وسمع.

«كرسبن... اجب... لعنة عليك اجبني».

شعر بأن بري اخذت تذوب في احضانه ونسي الرقة

وقبلها بعنف تماماً كما سبق ان فعل جروم ولكنها قابلته بالمزيد مع تنهدات نابعة من صميم اللذة لا غير.

«اذاً سأعود الى القصر ان وافقت او لم توافق» بهذه الجملة رفع جروم رأسه بتحد وانتظر الجواب ولكن لم يحدث شيء... مجرد سكون فرفع قبضته ليطرق الباب ويعلن اصراره امام ابن عمه ثم توقف فجأة.

تنصت قليلاً... ثم ارتسمت على وجهه ابتسامة بسيطة وزادت تدريجياً وبمنتهى الهدوء استدار وهبط السلم ببطء.

اما اللورد فقد تنازل اخيرا لغرائزه وامسك بري ذات البدن النحيف والبشرة الحريرية وضمها الى قلبه الذي كان ينبض بعنف وهمس بين موجات شعرها.

«آه يا حبيبتي، يا حبيبتي انا، يا راشيل بلانش نيكوليت بريكاند».

www.rewity.com
وردة دمشق
٨٨ منتديات روايتي ٨٨